سلسلة نصوص تراثية للباحثين

(١٢٩٠)

أهل البيت

في التفسير

مقارنة بين تفسير الطبري وتفسير الطبرسي

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٥هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة

ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

تليجرام https://t.me/dralhoshan

"حدثني ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: قال محمد: ثني حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس، عن عكرمة، مولى ابن عباس، قال: قال أبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كنت غلاما للعباس بن عبد المطلب، وكان الإسلام قد دخلنا **أهل البيت**، فأسلم العباس، وأسلمت أم الفضل وأسلمت، وكان العباس يهاب قومه، ويكره أن يخالفهم، وكان يكتم إسلامه، وكان ذا مال كثير متفرق في قومه. وكان أبو لهب عدو الله قد تخلف عن بدر، وبعث مكانه العاصي بن هشام بن المغيرة، وكذلك صنعوا لم يتخلف رجل إلا بعث مكانه رجلا، فلما جاء الخبر عن مصاب أصحاب بدر من قريش، كبته الله وأخزاه، ووجدنا في -[٢٤]- أنفسنا قوة وعونة، قال: وكنت رجلا ضعيفا، وكنت أعمل القداح أنحتها في حجرة زمزم، فوالله إني لجالس فيها أنحت القداح، وعندي أم الفضل جالسة وقد سرنا ما جاءنا من الخبر، إذ أقبل الفاسق أبو لهب يجر رجليه بشر، حتى جلس على طنب الحجرة، فكان ظهره إلى ظهري، فبينا هو جالس إذ قال الناس: هذا أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب، قد قدم، قال: قال أبو لهب: هلم إلي يا ابن أخي، فعندك الخبر، قال: فجلس إليه، والناس قيام عليه، فقال: يا ابن أخي أخبرني كيف كان أمر الناس؟ قال لا شيء والله إن كان إلا أن لقيناهم، فمنحناهم أكتافنا يقتلوننا ويأسروننا كيف شاءوا وايم الله مع ذلك ما لمت الناس، لقينا رجالا بيضا على خيل بلق ما بين السماء والأرض ما يليق لها شيء، ولا يقوم لها شيء، قال أبو رافع: فرفعت طنب الحجرة بيدي ثم قلت: تلك الملائكة "." (١)

"القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قالت يا ويلتى أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا إن هذا لشيء عجيب قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم **أهل البيت** إنه حميد مجيد﴾ يقول تعالى ذكره: قالت سارة لما بشرت بإسحاق أنها تلد تعجبا مما قيل لها من ذلك، إذ كانت قد بلغت السن التي لا يلد من كان قد بلغها من الرجال والنساء، وقيل: إنها كانت يومئذ ابنة تسع وتسعين سنة، وإبراهيم ابن مائة سنة، وقد ذكرت الرواية فيما روي في ذلك عن مجاهد قبل وأما ابن إسحاق، فإنه قال في ذلك ما:." (٢)

"وقوله: ﴿أألد وأنا عجوز﴾ [هود: ٧٢] تقول: أنى يكون لي ولد وأنا عجوز. ﴿وهذا بعلي شيخا﴾ [هود: ٧٢] والبعل في هذا الموضع: الزوج؛ وسمي بذلك لأنه قيم أمرها، كما سموا مالك الشيء: بعله، وكما قالوا للنخل التي تستغني بماء السماء عن سقي ماء الأنهار والعيون البعل، لأن مالك الشيء القيم به،

---

(١) تفسير الطبري ٢٣/٦

(٢) تفسير الطبري ٤٨٣/١٢

والنخل البعل بماء السماء حياته. وقوله: ﴿إن هذا لشيء عجيب﴾ [هود: ٧٢] يقول: إن كون الولد من مثلي ومثل بعلي على السن التي بها نحن لشيء عجيب. ﴿قالوا أتعجبين من أمر الله﴾ [هود: ٧٣] يقول الله تعالى ذكره: قالت الرسل لها: أتعجبين من أمر أمر الله به أن يكون، وقضاء قضاه الله فيك وفي بعلك؟ وقوله: ﴿رحمة الله وبركاته عليكم **أهل البيت**﴾ يقول: رحمة الله وسعادته لكم أهل بيت إبراهيم. وجعلت الألف واللام خلفا من الإضافة. وقوله: ﴿إنه حميد مجيد﴾ [هود: ٧٣] يقول: إن الله محمود في تفضله عليكم بما تفضل به من النعم عليكم، وعلى سائر خلقه مجيد؛ يقول: ذو مجد ومدح وثناء كريم، يقال في فعل منه: مجد الرجل يمجد مجادة إذا صار كذلك، وإذا أردت أنك مدحته قلت: مجدته تمجيدا.." (١)

"حدثني المثنى، قال: ثنا إسحاق، قال: ثنا إسماعيل بن عبد الكريم، عن عبد الصمد، أنه سمع وهب بن منبه، يقول: "كان أهل سدوم الذين فيهم لوط قوما قد استغنوا عن النساء بالرجال؛ فلما رأى الله ذلك بعث الملائكة ليعذبوهم، فأتوا إبراهيم، وكان من أمره وأمرهم ما ذكر الله في كتابه، فلما بشروا سارة بالولد، قاموا وقام معهم إبراهيم يمشي، قال: أخبروني لم بعثتم وما خطبكم؟ قالوا: إنا أرسلنا إلى أهل سدوم لندمرها، وإنهم قوم سوء قد استغنوا بالرجال عن النساء. قال إبراهيم: إن كان فيهم خمسون رجلا صالحا؟ قالوا: إذن لا نعذبهم. فجعل ينقم حتى قال **أهل البيت**، قال: فإن كان فيها بيت صالح؟ قال: فلوط وأهل بيته. قالوا: إن امرأته هواها معهم. فلما يئس إبراهيم انصرف، ومضوا إلى أهل سدوم، فدخلوا على لوط؛ فلما رأتهم امرأته أعجبها حسنهم وجمالهم، فأرسلت إلى أهل القرية: إنه قد نزل بنا قوم لم ير قوم قط أحسن منهم ولا أجمل فتسامعوا بذلك، فغشوا دار لوط من كل ناحية وتسوروا عليهم الجدران. فلقيهم لوط، فقال: يا قوم لا تفضحوني في ضيفي، وأنا أزوجكم بناتي فهن أطهر لكم فقالوا: لو كنا نريد بناتك لقد عرفنا مكانهن، فقال: ﴿لو أن لي بكم قوة أو آوي إلى ركن شديد﴾ [هود: ٨٠] ، فوجد عليه الرسل، قالوا: إن ركنك لشديد، وإنهم آتيهم عذاب -[٥٢١]- غير مردود فمسح أحدهم أعينهم بجناحيه، فطمس أبصارهم، فقالوا: سحرنا، انصرفوا بنا حتى نرجع إليه فكان من أمرهم ما قد قص الله تعالى في كتابه. فأدخل ميكائيل، وهو صاحب العذاب جناحه حتى بلغ أسفل الأرض، فقلبها، ونزلت

---

(١) تفسير الطبري ١٢/٤٨٥

حجارة من السماء، فتتبعت من لم يكن منهم في القرية حيث كانوا، فأهلكهم الله، ونجى لوطا وأهله، إلا امرأته "." (١)

"وقال آخرون في ذلك بما: حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن عبد الله بن أبي نجيح، عن مجاهد أبي الحجاج، قال: "كان أول ما دخل على يوسف من البلاء فيما بلغني أن عمته ابنة إسحاق، وكانت أكبر ولد إسحاق، وكانت إليها منطقة إسحاق، وكانوا يتوارثونها بالكبر، فكان من اختص بها ممن وليها كان له سلما لا ينازع فيه، يصنع فيه ما شاء وكان يعقوب حين ولد له يوسف، كان قد حضنته عمته، فكان معها وإليها، فلم يحب أحد شيئا من الأشياء حبها إياه، حتى إذا ترعرع وبلغ سنوات، ووقعت نفس يعقوب عليه، أتاها فقال: يا أخية، سلمي إلي يوسف، فوالله ما أقدر على أن يغيب عني ساعة فقالت: والله ما أنا بتاركته، والله ما أقدر أن يغيب عني ساعة قال: فوالله ما أنا بتاركه قالت: فدعه عندي أياما أنظر إليه وأسكن عنه، لعل ذلك يسليني عنه أو كما قالت، فلما خرج من عندها يعقوب عمدت إلى منطقة إسحاق فحزمتها على يوسف من تحت ثيابه، ثم قالت: لقد فقدت منطقة إسحاق، فانظروا من أخذها ومن أصابها فالتمست، ثم قالت: اكشفوا أهل البيت فكشفوهم، فوجدوها مع يوسف، فقالت: والله إنه لي لسلم أصنع فيه ما شئت. قال: وأتاها يعقوب فأخبرته الخبر، فقال لها: أنت وذاك، إن كان فعل ذلك فهو سلم لك، ما أستطيع غير ذلك، فأمسكته، فما قدر عليه يعقوب حتى ماتت. قال: فهو الذي تقول إخوة يوسف حين صنع بأخيه ما صنع حين أخذه: ﴿إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل﴾ [يوسف: ٧٧] . قال ابن حميد: قال ابن إسحاق: لما رأى بنو يعقوب ما صنع إخوة يوسف، -[٢٧٥]- ولم يشكوا أنه سرق، قالوا أسفا عليهم لما دخل عليهم في أنفسهم تأنيبا له: ﴿إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل﴾ [يوسف: ٧٧] فلما سمعها يوسف ﴿قال أنتم شر مكانا﴾ [يوسف: ٧٧] سرا في نفسه ﴿ولم يبدها لهم﴾ [يوسف: ٧٧] ﴿والله أعلم بما تصفون﴾ [يوسف: ٧٧] "." (٢)

"السماء. فيدعو عليهم عيسى ابن مريم، فيقول: اللهم لا طاقة ولا يدين لنا بهم، فاكفناهم بما شئت فيسلط الله عليهم دودا يقال له النغف ، فتفرس رقابهم، ويبعث الله عليهم طيرا فتأخذهم بمناقرها ، فتلقيهم في البحر، ويبعث الله عينا يقال لها الحياة ، تطهر الأرض منهم ، وتنبتها، حتى إن الرمانة ليشبع منها السكن. قيل: وما السكن يا كعب؟ قال: أهل البيت. قال: فبينا الناس كذلك، إذ أتاهم الصريخ أن

---

(١) تفسير الطبري ١٢/٥٢٠

(٢) تفسير الطبري ١٣/٢٧٤

ذا السويقتين يريده، فيبعث عيسى طليعة سبع مائة، أو بين السبع مائة ، والثمان مائة، حتى إذا كانوا ببعض الطريق بعث الله ريحا يمانية طيبة، فيقبض الله فيها روح كل مؤمن، ثم يبقى عجاج من الناس يتسافدون كما تتسافد البهائم ، فمثل الساعة كمثل رجل يطيف حول فرسه ينتظرها متى تضع. فمن تكلف بعد قولي هذا شيئا ، أو على هذا شيئا ، فهو المتكلف "." (١)

"قال أشعث ، عن عدي بن ثابت: أن امرأة من الأنصار قالت: " يا رسول الله، إني أكون في منزلي على الحال التي لا أحب أن يراني أحد عليها والد ولا ولد، وأنه لا يزال يدخل علي رجل من أهلي وأنا على تلك الحال؟ قال: فنزلت: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلموا على -[٢٤٣]- أهلها﴾ [النور: ٢٧] . الآية " وقال آخرون: معنى ذلك: حتى تؤنسوا **أهل البيت** بالتنحنح والتنخم وما أشبهه، حتى يعلموا أنكم تريدون الدخول عليهم." (٢)

"الأنس، وهو أن يستأذن **أهل البيت** في الدخول عليهم، مخبرا بذلك من فيه، وهل فيه أحد؟ وليؤذنهم أنه داخل عليهم، فليأنس إلى إذنهم له في ذلك، ويأنسوا إلى استئذانه إياهم وقد حكي عن العرب سماعا: اذهب فاستأنس، هل ترى أحدا في الدار؟ بمعنى: انظر هل ترى فيها أحدا؟ فتأويل الكلام إذن، إذا كان ذلك معناه: يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تسلموا وتستأذنوا، وذلك أن يقول أحدكم: السلام عليكم، أدخل؟ وهو من المقدم الذي معناه التأخير، إنما هو: حتى تسلموا وتستأذنوا، كما ذكرنا من الرواية عن ابن عباس." (٣)

"وقوله: ﴿ذلكم خير لكم﴾ [البقرة: ٥٤] يقول: استئناسكم وتسليمكم على **أهل البيت** الذي تريدون دخوله، فإن دخولكموه خير لكم؛ لأنكم لا تدرون أنكم إذا دخلتموه بغير إذن، على ماذا تهجمون؟ على ما يسوءكم أو يسركم؟ وأنتم إذا دخلتم بإذن، لم تدخلوا على ما تكرهون، وأديتم بذلك أيضا حق الله عليكم في الاستئذان والسلام." (٤)

"قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قلت لعطاء: إذا خرجت ، أواجب السلام؟ هل أسلم عليهم؟ فإنما قال: ﴿إذا دخلتم بيوتا فسلموا﴾ قال: ما أعلمه واجبا ولا آثر عن أحد وجوبه، ولكن أحب إلي، وما

---

(١) تفسير الطبري ١٦/٤٠٣

(٢) تفسير الطبري ١٧/٢٤٢

(٣) تفسير الطبري ١٧/٢٤٦

(٤) تفسير الطبري ١٧/٢٤٦

أدعه إلا ناسيا. قال ابن جريج: وقال عمرو بن دينار: لا ، قال: قلت لعطاء: فإن لم يكن في البيت أحد؟ قال: سلم قل: السلام على النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، السلام على **أهل البيت** ورحمة الله. قلت له: قولك هذا إذا دخلت بيتا ليس فيه أحد ،. عمن تأثره؟ قال: سمعته ، ولم يؤثر ي عن أحد." [١]

"حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو الحسين، عن حماد بن سلمة، عن علي بن زيد بن جدعان، عن أوس بن خالد، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " تخرج الدابة معها خاتم سليمان وعصا موسى، فتجلو وجه المؤمن بالعصا، وتختم أنف الكافر بالخاتم، حتى إن **أهل البيت** ليجتمعون فيقول هذا. يا مؤمن، ويقول هذا: يا كافر "." [٢]

"قال: قال عبد الله بن عمر: «إنها تنكت في وجه الكافر نكتة سوداء، فتفشو في وجهه، فيسود وجهه، وتنكت في وجه المؤمن نكتة بيضاء فتفشو في وجهه، حتى يبيض وجهه، فيجلس **أهل البيت** على المائدة، فيعرفون المؤمن من الكافر، ويتبايعون في الأسواق، فيعرفون المؤمن من الكافر»." [٣]

"حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد بن خالد بن عثمة، قال: ثنا كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني، قال: ثني أبي، عن أبيه، قال: خط رسول الله صلى الله عليه وسلم الخندق عام ذكرت الأحزاب من أحمر الشيخين طرف بني حارثة، حتى بلغ -[٤٠]- المذاد، ثم جعل أربعين ذراعا بين كل عشرة، فاختلف المهاجرون والأنصار في سلمان الفارسي، وكان رجلا قويا، فقال الأنصار: سلمان منا، وقال المهاجرون: سلمان منا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «سلمان منا **أهل البيت**»." [٤]

"القول في تأويل قوله تعالى: ﴿يا نساء النبي لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولا معروفا وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس **أهل البيت** ويطهركم تطهيرا﴾ [الأحزاب: ٣٣] يقول تعالى ذكره لأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿يا نساء النبي لستن كأحد من

---

(١) تفسير الطبري ٣٧٩/١٧

(٢) تفسير الطبري ١٢٥/١٨

(٣) تفسير الطبري ١٢٦/١٨

(٤) تفسير الطبري ٣٩/١٩

النساء﴾ [الأحزاب: ٣٢] من نساء هذه الأمة ﴿إن اتقيتن﴾ [الأحزاب: ٣٢] الله فأطعتنه فيما أمركن ونهاكن. " (١)

"وقوله: ﴿وأقمن الصلاة وآتين الزكاة﴾ [الأحزاب: ٣٣] يقول: وأقمن الصلاة -[١٠١]- المفروضة، وآتين الزكاة الواجبة عليكن في أموالكن ﴿وأطعن الله ورسوله﴾ [الأحزاب: ٣٣] فيما أمركن ونهاكن ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس **أهل البيت**﴾ [الأحزاب: ٣٣] يقول: إنما يريد الله ليذهب عنكم السوء والفحشاء يا أهل بيت محمد، ويطهركم من الدنس الذي يكون في أهل معاصي الله تطهيرا وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل." (٢)

"ذكر من قال ذلك: حدثني محمد بن المثنى، قال: ثنا بكر بن يحيى بن زبان العنزي، قال: ثنا مندل، عن الأعمش، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال -[١٠٢]- رسول الله صلى الله عليه وسلم: " نزلت هذه الآية في خمسة: في، وفي علي رضي الله عنه، وحسن رضي الله عنه، وحسين رضي الله عنه، وفاطمة رضي الله عنها " ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس﴾ [الأحزاب: ٣٣] **أهل البيت** ويطهركم تطهيرا." (٣)

"ذكر من قال ذلك: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس **أهل البيت** ويطهركم تطهيرا﴾ [الأحزاب: ٣٣] «فهم أهل بيت طهرهم الله من السوء، وخصهم برحمة منه»." (٤)

"حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس **أهل البيت** ويطهركم تطهيرا﴾ [الأحزاب: ٣٣] قال: " الرجس ها هنا: الشيطان، وسوى ذلك من الرجس: الشرك " اختلف أهل التأويل في الذين عنوا بقوله ﴿**أهل البيت**﴾ [الأحزاب: ٣٣] فقال بعضهم: عني به رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي وفاطمة والحسن والحسين رضوان الله عليهم." (٥)

"حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا محمد بن بشر، عن زكريا، عن مصعب بن شيبة، عن صفية بنت شيبة، قالت: قالت عائشة: " خرج النبي صلى الله عليه وسلم ذات غداة، وعليه مرط مرجل من شعر أسود، فجاء

---

(١) تفسير الطبري ٩٤/١٩

(٢) تفسير الطبري ١٠٠/١٩

(٣) تفسير الطبري ١٠١/١٩

(٤) تفسير الطبري ١٠١/١٩

(٥) تفسير الطبري ١٠١/١٩

الحسن، فأدخله معه، ثم قال: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس **أهل البيت** ويطهركم تطهيرا﴾ [الأحزاب: ٣٣] "." [(١)]

"حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا محمد بن بكر، عن حماد بن سلمة، عن علي بن زيد، عن أنس، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمر ببيت فاطمة ستة أشهر، كلما خرج إلى الصلاة فيقول: «الصلاة **أهل البيت**» ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس **أهل البيت** ويطهركم تطهيرا﴾ [الأحزاب: ٣٣] "." [(٢)]

"حدثنا ابن وكيع، قال: ثنا أبو نعيم، قال: ثنا يونس بن أبي إسحاق، قال: أخبرني أبو داود، عن أبي الحمراء، قال: رابطت المدينة سبعة أشهر على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، قال: رأيت النبي صلى الله عليه وسلم إذا طلع الفجر، جاء إلى باب علي وفاطمة فقال: «الصلاة الصلاة» ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس﴾ [الأحزاب: ٣٣] **أهل البيت** ويطهركم تطهيرا " حدثني عبد الأعلى بن واصل، قال: ثنا الفضل بن دكين، قال: ثنا يونس بن أبي إسحاق، بإسناده عن النبي صلى الله عليه وسلم، مثله." [(٣)]

"حدثني عبد الكريم بن أبي عمير، قال: ثنا الوليد بن مسلم، قال: ثنا أبو عمرو، قال: ثني شداد أبو عمار قال: سمعت واثلة بن الأسقع يحدث، قال: سألت عن علي بن أبي طالب في منزله، فقالت فاطمة: قد ذهب يأتي برسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ جاء، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخلت، فجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على الفراش وأجلس فاطمة عن يمينه، وعليا عن يساره وحسنا وحسينا بين يديه، فلفع عليهم بثوبه وقال: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس **أهل البيت** ويطهركم تطهيرا﴾ [الأحزاب: ٣٣] اللهم هؤلاء أهلي، اللهم أهلي أحق " قال واثلة: فقلت من ناحية البيت: وأنا يا رسول الله من أهلك؟ قال: «وأنت من أهلي» ، قال واثلة: إنها لمن أرجى ما أرتجي "." [(٤)]

"حدثني أبو كريب، قال: ثنا وكيع، عن عبد الحميد بن بهرام، عن شهر بن حوشب، عن فضيل بن مرزوق، عن عطية، عن أبي سعيد الخدري، عن أم سلمة، قالت: لما نزلت هذه الآية: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس **أهل البيت** ويطهركم تطهيرا﴾ [الأحزاب: ٣٣] دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم

---

(١) تفسير الطبري ١٠٢/١٩

(٢) تفسير الطبري ١٠٢/١٩

(٣) تفسير الطبري ١٠٣/١٩

(٤) تفسير الطبري ١٠٤/١٩

عليا وفاطمة وحسنا وحسينا، فجلل عليهم كساء خيبريا، فقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي، اللهم أذهب عنهم الرجس -[١٠٥]- وطهرهم تطهيرا» قالت أم سلمة: ألست منهم؟ قال: أنت إلى خير." (١)

"حدثنا أبو كريب، قال: ثنا مصعب بن المقدام، قال: ثنا سعيد بن زربي، عن محمد بن سيرين، عن أبي هريرة، عن أم سلمة، قالت: جاءت فاطمة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ببرمة لها قد صنعت فيها عصيدة تحلها على طبق، فوضعته بين يديه، فقال: «وأين ابن عمك وابناك؟» فقالت: في البيت، فقال: «ادعيهم» ، فجاءت إلى علي، فقالت: أجب النبي صلى الله عليه وسلم أنت وابناك قالت أم سلمة: فلما رآهم مقبلين مد يده إلى كساء كان على المنامة فمده وبسطه وأجلسهم عليه، ثم أخذ بأطراف الكساء الأربعة بشماله، فضمه فوق رءوسهم وأومأ بيده اليمنى إلى ربه، فقال: «هؤلاء أهل البيت، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا»." (٢)

"حدثنا أبو كريب، قال: ثنا حسن بن عطية، قال: ثنا فضيل بن مرزوق، عن عطية، عن أبي سعيد، عن أم سلمة، زوج النبي صلى الله عليه وسلم أن هذه الآية نزلت في بيتها ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾ [الأحزاب: ٣٣] قالت: وأنا جالسة على باب البيت، فقلت: أنا يا رسول الله ألست من أهل البيت؟ قال: «إنك إلى خير، أنت من أزواج النبي صلى الله عليه وسلم» قالت: وفي البيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم "." (٣)

"حدثني أحمد بن محمد الطوسي، قال: ثنا عبد الرحمن بن صالح، قال: ثنا محمد بن سليمان الأصبهاني، عن يحيى بن عبيد المكي، عن عطاء، عن عمر بن أبي سلمة، قال: نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في بيت أم سلمة ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾ [الأحزاب: ٣٣] فدعا حسنا وحسينا وفاطمة، فأجلسهم بين يديه، ودعا عليا فأجلسه خلفه، فتجلل هو وهم بالكساء ثم قال: «هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا» قالت أم سلمة: أنا معهم مكانك وأنت على خير "." (٤)

---

(١) تفسير الطبري ١٩/١٠٤

(٢) تفسير الطبري ١٩/١٠٥

(٣) تفسير الطبري ١٩/١٠٥

(٤) تفسير الطبري ١٩/١٠٦

"حدثني محمد بن عمارة، قال: ثنا إسماعيل بن أبان، قال: ثنا الصباح بن يحيى المزني، عن السدي، عن أبي الديلم، قال: قال علي بن الحسين لرجل من أهل الشام: " أما قرأت في الأحزاب: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس **أهل البيت** ويطهركم تطهيرا﴾ [الأحزاب: ٣٣] قال: ولأنتم هم؟ قال: نعم "." [١]

"حدثنا ابن حميد، قال: ثنا عبد الله بن عبد القدوس، عن الأعمش، عن حكيم بن سعد، قال: ذكرنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه عند أم سلمة قالت: فيه نزلت: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس **أهل البيت** ويطهركم تطهيرا﴾ [الأحزاب: ٣٣] قالت أم سلمة: جاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى بيتي، فقال: «لا تأذني لأحد» ، فجاءت فاطمة، فلم أستطع أن أحجبها عن أبيها، ثم جاء الحسن، فلم أستطع أن أمنعه أن يدخل على جده وأمه، وجاء الحسين، فلم أستطع أن أحجبه، فاجتمعوا حول النبي صلى الله عليه وسلم على بساط، فجللهم نبي الله بكساء كان عليه، ثم قال: «هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا» ، فنزلت هذه الآية حين اجتمعوا على البساط؛ قالت: فقلت: يا رسول الله: وأنا، قالت: فوالله ما أنعم وقال: «إنك إلى خير» وقال آخرون: بل عنى بذلك أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم." [٢]

"ذكر من قال ذلك: حدثنا ابن حميد، قال: ثنا يحيى بن واضح، قال: ثنا الأصبغ، عن علقمة، -[١٠٨]- قال: كان عكرمة ينادي في السوق: ﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس **أهل البيت** ويطهركم تطهيرا﴾ [الأحزاب: ٣٣] قال: «نزلت في نساء النبي صلى الله عليه وسلم خاصة»." [٣]

"ذكر من قال ذلك: حدثني عمران بن موسى القزاز، قال: ثنا عبد الوارث، قال: ثنا عبد العزيز بن صهيب، عن أنس بن مالك، قال: " بنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش، فبعثت داعيا إلى الطعام، فدعوت، فيجيء القوم يأكلون ويخرجون ثم يجيء القوم يأكلون ويخرجون، فقلت: يا نبي الله قد دعوت حتى ما أجد أحدا أدعوه، قال: «ارفعوا طعامكم» ، وإن زينب لجالسة في ناحية البيت، وكانت قد أعطيت جمالا، وبقي ثلاثة نفر يتحدثون في البيت، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم منطلقا نحو حجرة عائشة، فقال: «السلام عليكم **أهل البيت»** فقالوا: وعليك السلام يا رسول الله، كيف وجدت أهلك؟ قال: فأتى حجر نسائه، فقالوا مثل ما قالت عائشة، فرجع النبي صلى الله عليه وسلم، فإذا الثلاثة

---

(١) تفسير الطبري ١٩/١٠٦

(٢) تفسير الطبري ١٩/١٠٧

(٣) تفسير الطبري ١٩/١٠٧

يتحدثون في البيت، وكان النبي صلى الله عليه وسلم شديد الحياء، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم منطلقا نحو حجرة عائشة، فلا أدري أخبرته، أو أخبر أن الرهط قد خرجوا، فرجع حتى وضع رجله في أسكفة داخل البيت، والأخرى خارجه، إذ أرخى الستر بيني وبينه، وأنزلت آية الحجاب "." (١)

"ذكر من قال ذلك: حدثنا أبو كريب، وعبيد بن إسماعيل الهباري قالا: ثنا المحاربي، عن عاصم الأحول، عن أبي هاشم، عن أبي مجلز قال: ركبت دابة، فقلت: ﴿سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين﴾ [الزخرف: ١٣] ، فسمعني رجل من **أهل البيت** قال أبو كريب والهباري: قال المحاربي: فسمعت سفيان يقول: هو الحسن بن علي رضوان الله تعالى عليهما، فقال: «أهكذا أمرت؟» قال: قلت: كيف أقول؟ قال: " تقول الحمد لله الذي هدانا الإسلام، الحمد لله الذي من علينا بمحمد عليه الصلاة والسلام، الحمد لله الذي جعلنا في خير أمة أخرجت للناس، فإذا أنت قد ذكرت نعما عظاما، ثم يقول بعد ذلك ﴿سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون﴾ [الزخرف: ١٤] " حدثنا ابن بشار قال: ثنا عبد الرحمن قال: ثنا سفيان، عن أبي هاشم، عن أبي مجلز، أن الحسن بن علي رضي الله عنه، رأى رجلا ركب دابة، فقال: الحمد لله الذي سخر لنا هذا، ثم ذكر نحوه." (٢)

"الجليل، الثقة الكامل النبيل. ثم حكى عن صاحب (رياض العلماء) أنه ترجمه بنحو ذلك. وفي (المقابيس) لرئيس المحققين الشيخ أسد الله التستري عند ذكر ألقاب العلماء: ومنها أمين الاسلام للشيخ الأجل الأوحد، الأكمل الأسعد، قدوة المفسرين، وعمدة الفضلاء المتبحرين، أمين الدين أبي علي... الخ، قدس الله نفسه الزكية، وأفاض على تربته المراحم السرمدية. وعن (مجالس المؤمنين) ما ترجمته: إن عمدة المفسرين أمين الدين ثقة الإسلام أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي، كان من نحارير علماء التفسير، وتفسيره الكبير الموسوم بـ (مجمع البيان) بيان كاف، ودليل واف، لجامعيته لفنون الفضل والكمال (أنتهى). وسيأتي عند ذكر جملة من آثاره حكاية وصفه بالشيخ الإمام الأجل، العالم الزاهد، أمين الدين، ثقة الإسلام، أمين الرؤساء. وبالجملة ففضل الرجل وجلالته، وتبحره في العلوم، ووثاقته، أمر غني عن البيان، وأعدل شاهد على ذلك كتابه (مجمع البيان) كما أشار إليه صاحب (مجالس المؤمنين) بما جمعه من أنواع العلوم، وأحاط به من الأقوال المشتتة في التفسير، مع الإشارة في كل مقام إلى ما روي عن **أهل البيت**

---

(١) تفسير الطبري ١٦٢/١٩

(٢) تفسير الطبري ٥٥٨/٢٠

عليهم السلام، في تفسير الآيات بالوجوه البينة المقبولة، مع الإعتدال وحسن الإختيار في الأقوال، والتأدب وحفظ اللسان، مع من يخالفه في الرأي، بحيث لا يوجد في كلامه شئ ينفر الخصم، أو يشتمل على التهجين والتقبيح. وقل ما يوجد في المصنفين من يسلم كلامه من ذلك، وانظر إلى كلامه في مقدمة (جامع الجوامع) في حق صاحب (الكشاف)، وما فيه من التعظيم له، والثناء البليغ على علمه وفضله، لتعلم أنه من الفضل والإنصاف وطهارة النفس، في مرتبة عالية.

مشايخه: يروي هذا الشيخ الجليل عن جماعة ١ - الشيخ أبو علي ابن الشيخ الطوسي ٢ - الشيخ أبو الوفاء عبد الجبار بن علي المقري الرازي، عن الشيخ الطوسي. ٣ - الشيخ الأجل الحسن بن الحسين بن الحسن بن بابويه القمي الرازي جد منتجب الدين صاحب (الفهرست). ٤ - الشيخ الإمام موفق الدين الحسن بن الفتح الواعظ البكر ابادي، عن أبي علي الطوسي. ٥ - السيد أبو طالب محمد بن الحسين الحسيني القصبي الجرجاني. ٦ - الشيخ الإمام السعيد الزاهد، أبو الفتح عبد الله بن عبد الكريم بن هوازن القشيري روى عنه." (١)

"صرط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم و لا الضالين(٧)

القراءة

قرأ حمزة عليهم بضم الهاء و إسكان الميم و كذلك لديهم و إليهم و قرأ يعقوب بضم كل هاء قبلها ياء ساكنة في التثنية و الجمع المذكر و المؤنث نحو عليهما و فيهما و عليهم و فيهم و عليهن و فيهن و قرأ الباقون « عليهم » و أخواتها بالكسر و قرىء في الشواذ عليهموا قراءة ابن أبي إسحاق و عيسى الثقفي و عليهمي قراءة الحسن البصري و عمر بن قايد و عليهم مكسورة الهاء مضمومة الميم بغير واو و عليهم مضمومة الهاء و الميم من غير بلوغ واو مرويتان عن الأعرج فهذه سبع قراءات ثم اختلف القراء في الميم فأهل الحجاز وصلوا الميم بواو انضمت الهاء قبلها أو انكسرت قالوا عليهموا و على قلوبهموا و على سمعهموا و منهموا و لهموا إلا أن نافعا اختلف عنه فيه و الباقون بسكون الميم فأما إذا لقي الميم حرف ساكن فإن القراء اختلفوا فأهل الحجاز و عاصم و ابن عامر يضمون على كسر الهاء و يضمون الميم نحو عليهم الذلة و من دونهم امرأتين و أبو عمرو يكسر الهاء و الميم و حمزة و الكسائي يضمان الهاء و الميم معا و كل هذا الاختلاف في الهاء التي قبلها كسرة أو ياء ساكنة فإذا جاوزت هذين الأمرين لم يكن في الهاء إلا الضم و قرأ صراط من أنعمت عليهم عمر بن الخطاب و عمرو بن عبد الله الزبيري و روي ذلك

---

(١) تفسير مجمع البيان - الطبرسي ١/٦

عن أهل البيت (عليهم السلام) و قرىء أيضا في الشواذ غير المغضوب عليهم بالنصب و قرأ غير الضالين عمر بن الخطاب و روي ذلك عن علي (عليه السلام) .

الحجة

من قرأ عليهم بضم الهاء فإنه رده إلى الأصل لأنه إذا انفرد من حروف يتصل بها قيل هم فعلوا بضم الهاء قال السراج و هي القراءة القديمة و لغة قريش و أهل الحجاز و من حولهم من فصحاء اليمن و إنما خص حمزة هذه الحروف الثلاثة بالضم لأن الياء قبلها كانت ألفا مثل على القوم و لدى القوم و إلى القوم و لا يجوز كسر الهاء إذا كان قبلها ألف و من قرأ عليهموا فإنه اتبع الهاء ما أشبهها و هو الياء و ترك ما لا يشبه الياء و الألف على الأصل و هو الميم و من قرأ « عليهم » فكسر الهاء و أسكن الميم فلأنه أمن اللبس إذا كانت الألف في التثنية قد دلت على الاثنين و لا ميم في الواحد فلما لزمت الميم الجمع حذفوا الواو و أسكنوا الميم طلبا للتخفيف إذا كان ذلك لا يشكل و إنما كسر الهاء مع أن." (١)

"مؤمنا بما معه من المعرفة بالله تعالى و إن فسق بابائه و هذا ضعيف لأنا إذا علمنا كفره بالإجماع علمنا أنه لم يكن معه إيمان أصلا كما أنا إذا رأينا من يسجد للصنم علمنا أنه كافر و إن كان نفس السجود ليس بكفر و اختلفوا في صفة أمر الله سبحانه الملائكة بالسجود فقيل كان بخطاب من الله تعالى للملائكة و لإبليس و قيل بوحي من الله إلى من بعثه إليهم من رسله لأن كلام الرسول كلام المرسل و قيل أن الله تعالى أظهر فعلا دلهم به على أنه أمرهم بالسجود فإن قيل لم حكم الله بكفره مع أن من ترك السجود الآن لا يكفر قلنا لأنه جمع إلى ترك السجود خصالا من الكفر منها أنه اعتقد أن الله تعالى أمره بالقبيح و لم ير أمره بالسجود حكمة و منها أنه امتنع من السجود تكبرا و ردا على الله تعالى أمره و من تركه الآن كذلك يكفر أيضا و منها أنه استخف بنبي الله و ازدراه و هذا لا يصدر إلا من معتقد الكفر و في هذه الآية دلالة على بطلان مذهب الجبر من وجوه منها قوله « أبى » فدل على قدرته على السجود الذي أباه و تركه و إلا لم يصح وصفه بالآباء و منها قوله « فسجدوا » فدل على أن السجود فعلهم و منها أنه مدح الملائكة بالسجود و ذم إبليس بترك السجود و عندهم إنما لم يسجد لأنه لم يخلق فيه السجود و لا القدرة الموجبة له .

و قلنا يئادم اسكن أنت و زوجك الجنة و كلا منها رغدا حيث شئتما و لا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظلمين(٣٥)

---

(١) تفسير مجمع البيان - الطبرسي ٦٨/١

اللغة

السكون و الاطمئنان و الهدو نظائر و السكن بسكون الكاف العيال و **أهل البيت** و السكن بالفتح المنزل و السكن الرحمة و البركة في قوله « إن صلاتك سكن لهم » و الزوج بطرح الهاء قال الأصمعي هو أكثر كلام العرب و الأكل و المضغ و اللقم متقارب و ضد الأكل الأزم و سأل عمر بن الخطاب الحارث بن كلدة طبيب العرب فقال يا حار ما الدواء فقال الأزم أي ترك الأكل و الرغد النفع الواسع الكثير الذي ليس فيه عناء قال ابن دريد الرغد السعة في العيش و المشيئة من قبيل الإرادة و كذلك المحبة و الاختيار و الإيثار و إن كان لها شروط ذكرت في أصول الكلام و القرب الدنو قرب الشيء يقرب قربا و قرب فلان أهله يقرب قربانا إذا غشيها و ما قربت هذا الأمر قربانا و قربا و الشجرة ما قام على ساق و جمعها أشجار و شجرات و شجر و تشاجر القوم اختلفوا أخذ من الشجر لاشتباك أغصانه." (١)

"الكتابة التي ليست بمسموعة و يتميز من أصوات كثير من الطيور لأنها ليست بمتميزة و ينقسم الكلام إلى مهمل و مستعمل و إنما أراد سيبويه بقوله إن المهمل لا يكون كلاما أنه لا يكون مفيدا إذ الكلام عنده لا يقع إلا على المفيد و به قال أبو القاسم البلخي و التوبة و الإقلاع و الإنابة في اللغة نظائر و ضد التوبة الإصرار و الله تعالى يوصف بالتواب و معناه أنه يقبل التوبة عن عباده و أصل التوبة الرجوع عما سلف و الندم على ما فرط فالله تعالى تائب على العبد بقبول توبته و العبد تائب إلى الله تعالى بندمه على معصيته .

المعنى

قوله « فتلقى آدم » أي قبل و أخذ و تناول على سبيل الطاعة « من ربه » و رب كل شيء « كلمات » و أغنى قوله « فتلقى » عن أن يقول فرغب إلى الله بهن أو سأله بحقهن لأن معنى التلقي يقيد ذلك و ينبيء عما حذف من الكلام اختصارا و لهذا قال تعالى « فتاب عليه » لأنه لا يتوب عليه إلا بأن سأل بتلك الكلمات و على قراءة من قرأ فتلقى آدم من ربه كلمات لا يكون معنى التلقي القبول بل معناه أن الكلمات تداركته بالنجاة و الرحمة و اختلف في الكلمات ما هي فقيل هي قوله ربنا ظلمنا أنفسنا الآية عن الحسن و قتادة و عكرمة و سعيد بن جبير و أن في ذلك اعترافا بالخطيئة فلذلك وقعت موقع الندم و حقيقته الإنابة و قيل هي قوله (اللهم لا إله إلا أنت سبحانك و بحمدك رب إني ظلمت نفسي فارحمني إنك خير الراحمين) (اللهم لا إله إلا أنت سبحانك و بحمدك رب إني ظلمت نفسي فتب علي إنك

---

(١) تفسير مجمع البيان – الطبرسي ١/١٥٥

أنت التواب الرحيم) عن مجاهد و هو المروي عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) و قيل بل هي سبحان الله و الحمد لله و لا إله إلا الله و الله أكبر و قيل و هي رواية تختص **بأهل البيت** عليهم السلام أن آدم رأى مكتوبا على العرش أسماء معظمة مكرمة فسأل عنها فقيل له هذه أسماء أجل الخلق منزلة عند الله تعالى و الأسماء محمد و علي و فاطمة و الحسن و الحسين فتوسل آدم (عليه السلام) إلى ربه بهم في قبول توبته و رفع منزلته قوله « فتاب عليه » فيه حذف أي تاب آدم فتاب الله عليه أي قبل توبته و قيل تاب عليه أي وفقه للتوبة و هداه إليها بأن لقنه الكلمات حتى قالها فلما قالها قبل توبته « إنه هو التواب » أي كثير القبول للتوبة يقبل مرة بعد مرة و هو في صفة العباد الكثير التوبة و قيل إن معناه أنه يقبل التوبة و إن عظمت الذنوب فيسقط عقابها قوله « الرحيم » إنما ذكره ليدل به على أنه متفضل بقبول التوبة و منعم به و أن ذلك ليس على وجه الوجوب و إنما قال فتاب عليه و لم يقل عليهما لأنه اختصر و حذف للإيجاز و التغليب كقوله سبحانه و تعالى « و الله و رسوله أحق أن يرضوه » و معناه أن يرضوهما و قوله « و إذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا." (١)

"سبحانه يأت بكم الله إلى المحشر يوم القيامة و روي في أخبار **أهل البيت** (عليهم السلام) أن المراد به أصحاب المهدي في آخر الزمان قال الرضا (عليه السلام) و ذلك و الله لو قام قائمنا يجمع الله إليه جميع شيعتنا من جميع البلدان « إن الله على كل شيء قدير » أي هو قادر على جمعكم و حشركم و على كل شيء .

و من حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام و إنه للحق من ربك و ما الله بغفل عما تعملون(١٤٩)

المعنى

« و من حيث خرجت » من البلاد « فول وجهك شطر المسجد الحرام » أي فاستقبل بوجهك تلقاء المسجد الحرام و قيل في تكراره وجوه (أحدها) أنه لما كان فرضا نسخ ما قبله كان من مواضع التأكيد و التبيين لينصرف الخلق إلى الحال الثانية من الحال الأولى على يقين و (ثانيها) أنه مقدم لما يأتي بعده و يتصل به فأشبه الاسم الذي تكرر ليخبر عنه بأخبار كثيرة كما يقال زيد كريم زيد عالم زيد فاضل و ما أشبه ذلك مما يذكر لتعلق الفائدة به و (ثالثها) أنه في الأول بيان لحال الحضر و في الثاني بيان لحال السفر و قوله « و أنه للحق من ربك » معناه و إن التوجه إلى الكعبة الحق المأمور به من ربك و يحتمل

---

(١) تفسير مجمع البيان – الطبرسي ١/١٦٣

أن يراد بالحق الثابت الذي لا يزول بنسخ كما يوصف القديم سبحانه بأنه الحق الثابت الذي لا يزول « و ما الله بغافل عما تعملون » معناه هنا التهديد كما يقول الملك لعبيدة ليس يخفى علي ما أنتم عليه فيه و مثله قوله إن ربك لبالمرصاد .

و من حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام و حيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم و اخشونى و لأتم نعمتى عليكم و لعلكم تهتدون(١٥٠)

الإعراب

« لئلا يكون » هو لأن لا كتبت الهمزة ياء لكسرة ما قبلها و ترك نافع همزها." [١]

"الحلاق و حلق الطائر في الهواء إذا ارتفع و حلق ضرع الناقة إذا ارتفع لبنها و الحلق مجرى الطعام و الشراب في المري و حلوق الأرض مجاريها في أوديتها و حلاق المنية و أصل الباب الاستمرار و الرأس أعلى كل شيء و الأذى كل ما تأذيت به و رجل أذ إذا كان شديد التأذي و أصله الضرر بالشيء و النسك جمع النسيكة و هي الذبيحة و يجمع أيضا على نسائك كصحيفة و صحائف و صحف و كلما ذبح لله فهو نسيكة و النسك العبادة و منه رجل ناسك أي عابد و التمتع أصله الالتذاذ و الاستمتاع و متعة الحجة هي أن يعتمر في أشهر الحج ثم يحل و يتمتع بالإحلال بأن يفعل ما يفعله المحل ثم يحرم بالحج من غير رجوع إلى الميقات فهو إحلال بين إحرامين و أهل الرجل زوجته و التأهل التزوج و أهل الرجل أخص الناس به و أهل البيت سكانه و أهل الإسلام من يدين به و أهل القرآن من يقرؤه و يقوم بحقوقه و أهلته لهذا الأمر أي جعلته أهلا له و قولهم أهلا و مرحبا أي اختصاصا بالتحية و التكرمة و العقاب مصدر يقال عاقبه عقابا و معاقبة و عقوبة و أصله من عقب الشيء أي خلفه فكان القبيح يعقبه الشدة و عقب الإنسان نسله و عقبه مؤخر قدميه .

الإعراب

قوله « فما استيسر من الهدي » موضع ما رفع كأنه قال فعليه ما استيسر و يجوز أن يكون موضعه نصبا و تقديره فأهدوا ما استيسر و الرفع أولى لكثرة نظائره كقوله « ففدية من صيام » « فعدة من أيام » « فصيام ثلاثة أيام في الحج » و قوله « في الحج » يتعلق بالمصدر و ليس في موضع خبر و هذا النحو قد جاء مرفوعا على تقدير إضمار خبر .

---

(١) تفسير مجمع البيان – الطبرسي ١/٣٩٠

المعنى

ثم بين سبحانه فرض الحج و العمرة على العباد بعد بيانه فريضة الجهاد فقال « و أتموا الحج و العمرة لله » أي أتموهما بمناسكهما و حدودهما و تأدية كل ما فيهما عن ابن عباس و مجاهد و قيل معناه أقيموهما إلى آخر ما فيهما و هو المروي عن أمير المؤمنين و علي بن الحسين و عن سعيد بن جبير و مسروق و السدي و قوله « لله » أي اقصدوا بهما التقرب إلى الله و العمرة واجبة عندنا مثل الحج و به قال الشافعي في الجديد و قال أهل العراق أنها مسنونة و أركان أفعال الحج النية و الإحرام و الوقوف بعرفة و الوقوف بالمشعر و طواف الزيارة و السعي بين الصفا و المروة و أما الفرائض التي ليست بأركان فالتلبية و ركعتا الطواف و طواف النساء و ركعتا الطواف له و أما المسنونات من أفعال الحج فمذكورة في الكتب المصنفة فيه و أركان فرائض العمرة النية و الإحرام و طواف الزيارة و السعي و أما ما." (١)

"و الضمة التي في أولها ضمة الاسم المنادى المفرد و الميم مفتوحة لسكونها و سكون الميم التي قبلها و قال الفراء أصله يا الله أم بخير فألقيت الهمزة و طرحت حركتها على ما قبلها و مثله هلم إنما أصله هل أم و اعترض على قول الخليل بأن الميم إنما تزاد مخففة في مثل فم و ابنم و بأنها اجتمعت مع يا في قول الشاعر :

و ما عليك أن تقولي كلما

سبحت أو صليت يا اللهما

اردد علينا شيخنا مسلما و قال علي بن عيسى هذا ليس بشيء لأن الميم هاهنا عوض من حرفين فشددت كما قيل قمتن و ضربتن لما كانت النون عوضا من حرفين في قمتموا أو ضربتموا فأما قمن و ذهبن فالنون هناك عوض عن حرف واحد و أما البيت فإنما جاز ذلك فيه لضرورة الشعر و أما هلم فإن الأصل فيه أن حرف التنبيه و هي ها دخلت على لم عند الخليل و قوله « مالك الملك » أكثر النحويين على أنه منصوب بأنه منادى مضاف قال الزجاج و يحتمل أن يكون صفة من اللهم لأن اللهم بمنزلة يا الله فيكون مثل قولك يا زيد ذا الجمة « تؤتي الملك » فعل و فاعل و مفعول في موضع النصب على الحال و العامل فيه حرف النداء و ذو الحال اللهم أو مالك و « من تشاء » مفعول ثان و التقدير تؤتي الملك من تشاء أن تؤتيه و تنزع الملك ممن تشاء أن تنزعه منه و كذا الباء في « بيدك الخير » مبتدأ و خبر في موضع الحال أيضا و العامل فيه تؤتي و تنزع و تعز و تذل و ذو الحال الضمير المستكن فيها .

---

(١) تفسير مجمع البيان – الطبرسي ٣١/٢

النزول

قيل لما فتح رسول الله (صلى الله عليهوآلهوسلم) مكة و وعد أمته ملك فارس و الروم قال المنافقون و اليهود هيهات من أين لمحمد (صلى الله عليهوآلهوسلم) ملك فارس و الروم أ لم يكفه المدينة و مكة حتى طمع في الروم و فارس و نزلت هذه الآية عن ابن عباس و أنس بن مالك و قيل أن النبي (صلى الله عليهوآلهوسلم) خط الخندق عام الأحزاب و قطع لكل عشرة أربعين ذراعا فاحتج المهاجرون و الأنصار في سلمان الفارسي و كان رجلا قويا فقال المهاجرون سلمان منا و قال الأنصار سلمان منا فقال النبي (صلى الله عليهوآلهوسلم) سلمان منا **أهل البيت** قال عمرو بن عوف كنت أنا و سلمان و حذيفة و نعمان بن مقرن المزني و ستة من الأنصار في أربعين ذراعا فحفرنا حتى إذا كنا بجب ذي ناب أخرج الله من بطن الخندق صخرة مروة كسرت حديدنا و شقت علينا فقلنا يا سلمان أرق إلى رسول الله (صلى الله عليهوآلهوسلم) و أخبره خبر هذه الصخرة فأما أن نعدل عنها فإن المعدل قريب و أما أن يأمرنا فيه بأمره فإنا لا نحب أن نجاوز خطه قال فرقي سلمان إلى رسول الله و هو ضارب عليه قبة تركية فقال يا رسول الله خرجت صخرة بيضاء مروة من بطن الخندق." (١)

"و يونس و زكريا و يحيى و عيسى و فيهم نبينا لأنه من ولد إسماعيل و قيل آل إبراهيم هم المؤمنون المتمسكون بدينه و هو دين الإسلام عن ابن عباس و الحسن و أما آل عمران فقيل هم من آل إبراهيم أيضا كما قال « ذرية بعضها من بعض » فهم موسى و هارون ابنا عمران و هو عمران بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب و قيل يعني ب آل عمران مريم و عيسى و هو عمران بن الهشم بن أمون من ولد سليمان بن داود و هو أبو مريم لأن آل الرجل **أهل البيت** الذي ينتسب إليه عن الحسن و وهب و في قراءة **أهل البيت** و آل محمد (صلى الله عليهوآلهوسلم) على العالمين و قالوا أيضا أن آل إبراهيم هم آل محمد (صلى الله عليهوآلهوسلم) الذين هم أهله و يجب أن يكون الذين اصطفاهم الله تعالى مطهرين معصومين منزهين عن القبائح لأنه تعالى لا يختار و لا يصطفي إلا من كان كذلك و يكون ظاهره مثل باطنه في الطهارة و العصمة فعلى هذا يختص الاصطفاء بمن كان معصوما من آل إبراهيم و آل عمران سواء كان نبيا أو إماما و يقال الاصطفاء على وجهين (أحدهما) أنه اصطفاه لنفسه أي جعله خالصا له يختص به (و الثاني) أنه اصطفاه على غيره أي اختصه بالتفضيل على غيره و على هذا الوجه معنى الآية فإن قيل كيف اختصهم الله بالتفضيل قبل العمل فالجواب أنه إذا كان المعلوم أن صلاح المكلفين لا يتم

---

(١) تفسير مجمع البيان – الطبرسي ٢/٢٣٩

إلا بهم فلا بد من تقديم البشارة بهم و الإخبار بما يكون من حسن شمائلهم و أفعالهم و التشويق إليهم كما يكون من جلالة أقدارهم و زكاء خلالهم ليكون ذلك داعيا للناس إلى القبول منهم و الانقياد لهم و في هذه الآية دلالة على تفضيل الأنبياء على الملائكة عليهم أجمعين الصلاة و السلام لأن العالمين يعم الملائكة و غيرهم من المخلوقين و قد فضلهم سبحانه و اختارهم على الكل و قوله « ذرية » أي أولادا و أعقابا بعضها من بعض قيل معناه في التناصر في الدين و هو الإسلام أي دين بعضها من دين بعض كما قال المنافقون و المنافقات بعضهم من بعض أي في التناصر و التعاضد على الضلال و هو قول الحسن و قتادة و قيل بعضها من بعض في التناسل و التوالد فإنهم ذرية آدم ثم ذرية نوح ثم ذرية إبراهيم و هو المروي عن أبي عبد الله (عليه السلام) لأنه قال الذين اصطفاهم الله بعضهم من نسل بعض و اختاره أبو علي الجبائي « و الله سميع عليم » فيه قولان (أحدهما) أن معناه سميع لما تقوله الذرية عليم بما يضمرونه فلذلك فضلهم على غيرهم لما في معلومه من استقامتهم في أقوالهم و أفعالهم (و الثاني) أن معناه سميع لما تقوله امرأة عمران من النذر عليم بما تضمره و نبه بذلك على استحسان ذلك منها .

النظم

وجه اتصال هذه الآية بما قبلها أنه لما وقعت المنازعة في إبراهيم و عيسى و اختلف أقوال النصارى و اليهود فيهما بين تعالى أن من أطاع الرسول قال فيهما ما يقوله هو." (١)

"الكلالة فقال جماعة من الصحابة و التابعين منهم أبو بكر و عمر و ابن عباس في إحدى الروايتين عنه و قتادة و الزهري و ابن زيد هو من عدا الوالد و الولد و في الرواية الأخرى عن ابن عباس أنه من عدا الوالد و قال الضحاك و السدي أنه اسم للميت الذي يورث عنه و المروي عن أئمتنا أن الكلالة الإخوة و الأخوات و المذكور في هذه الآية من كان من قبل الأم منهم و المذكور في آخر السورة من كان منهم من قبل الأب و الأم أو من قبل الآباء « أو امرأة » هو عطف على قوله « و إن كان رجل » معناه و إن كان رجل كلالة يورث ماله أو امرأة كلالة تورث مالها على قول من قال إن الميت نفسه يسمى كلالة و من قال إنه الحي الوارث فتقديره و إن كان رجل يورث في حال تكلل نسبه به أو امرأة تورث كذلك و هو قول ابن عمر و أهل الكوفة و يؤيده ما روي عن جابر أنه قال أتاني رسول الله و أنا مريض فقلت و كيف الميراث و إنما يرثني كلالة فنزلت آية الفرائض فالكلالة في النسب من أحاط بالميت و تكلله من الإخوة و الأخوات و الولد و الوالد ليسا بكلالة لأنهما أصل النسب الذي ينتهي إلى الميت و من سواهما خارج

---

(١) تفسير مجم ع البيان – الطبرسي٢/٢٤٨

عنهما و إنما يشتمل عليهما بالأنساب من غير جهة الولادة فعلى هذا تكون الكلالة كالإكليل يشتمل على الرأس و يحيط به و ليس من أصله فإن الوالد و الولد طرفان للرجل فإذا مات الرجل و لم يخلفهما فقد مات عن ذهاب طرفيه فسمي ذهاب طرفيه كلالة و قوله « و له أخ أو أخت » يعني الأخ و الأخت من الأم « فلكل واحد منهما السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث » جعل للذكر و الأنثى هاهنا سواء و لا خلاف بين الأمة أن الإخوة و الأخوات من قبل الأم متساوون في الميراث « من بعد وصية يوصي بها أو دين » مر بيانه « غير مضار وصية من الله » منع الله من الضرار في الوصية أي غير موص وصية تضر بالورثة و قيل أراد غير مضار في الميراث كره سبحانه الضرار في الحياة و بعد الممات عن قتادة و تقديره لا يضار بعض الورثة بعضا و قيل هو أن يوصي بدين ليس عليه يريد بذلك ضرر الورثة فالضرار في الوصية راجع إلى الميراث و هو أن يضر في وصيته بماله أو بعضه لأجنبي أو يقر بدين لا حقيقة له دفعا للميراث عن وارثه أو يقر باستيفاء دين له في مرضه أو ببيع ماله في مرضه و استيفاء ثمنه لئلا يصل إلى وارثه و جاء في الحديث أن الضرار في الوصية من الكبائر « و الله عليم » بمصالح عباده يحكم بما توجب الحكمة في قسمة الميراث و الوصايا و غيرها « حليم » لا يعاجل العصاة بالعقوبة و يمن عليهم بالانتظار و المهلة و في هاتين الآيتين دلالة على تقدير سهام أصحاب المواريث و نحن نذكر من ذلك جملة موجزة منقولة عن أهل البيت دون غيرهم فإن الاختلاف في مسائل المواريث بين الفقهاء كثير يطول بذكره الكتاب فمن." (١)

"غفورا » أي ساترا على عباده ذنوبهم بالعفو عنهم « رحيما » بهم رفيقا و مما جاء في معنى الآية من الحديث ما رواه الحسن عن النبي (صلى الله عليهوآلهوسلم) أنه قال من فر بدينه من أرض إلى أرض و إن كان شبرا من الأرض استوجب الجنة و كان رفيق إبراهيم و محمد (صلى الله عليهوآلهوسلم) و روى العياشي بإسناده عن محمد بن أبي عمير حدثني محمد بن حليم قال وجه زرارة بن أعين ابنه عبيدا إلى المدينة ليستخبر له خبر أبي الحسن موسى بن جعفر (عليه السلام) و عبد الله فمات قبل أن يرجع إليه عبيد ابنه قال محمد بن أبي عمير حدثني محمد بن حكيم قال ذكرت لأبي الحسن (عليه السلام) زرارة و توجيهه عبيدا ابنه إلى المدينة فقال إني لأرجو أن يكون زرارة ممن قال الله فيهم « و من يخرج من بيته مهاجرا إلى الله » الآية .

و إذا ضربتم فى الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلوة إن خفتم أن يفتنكم الذين كفروا إن

---

(١) تفسير مجمع البيان – الطبرسي٣/٢٨

الكفرين كانوا لكم عدوا مبينا(١٠١)

اللغة

في قصر الصلاة ثلاث لغات قصرت الصلات أقصرها و هي لغة القرآن و قصرتها تقصيرا و أقصرتها إقصارا و فتنت الرجل أفتنه فهو مفتون لغة أهل الحجاز و بني تميم و ربيعة و أهل نجد كلهم و أسد يقولون أفتنت الرجل فهو فاتن و قد فتن فتونا إذا دخل في الفتنة و إنما قال في الكافرين أنهم عدو لأن لفظة فعول تقع على الواحد و الجماعات .

المعنى

« و إذا ضربتم في الأرض » معناه إذا سرتم فيها أي سافرتم « فليس عليكم جناح » أي حرج و إثم « أن تقصروا من الصلاة » فيه أقوال (أحدها) إن معناه أن تقصروا من عدد الصلاة فتصلوا الرباعيات ركعتين عن مجاهد و جماعة من المفسرين و هو قول أكثر الفقهاء و هو مذهب **أهل البيت** (عليهم السلام) و قيل تقصر صلاة الخائف من صلاة المسافر و هما قصران قصر الأمن من أربع إلى ركعتين و قصر الخوف من ركعتين إلى ركعة واحدة عن جابر و مجاهد و قد رواه أيضا أصحابنا (و ثانيها) إن معناه القصر من حدود الصلاة عن ابن عباس و طاووس و هو الذي رواه أصحابنا في صلاة شدة الخوف و إنها تصلى إيماء و السجود أخفض من الركوع فإن لم يقدر على ذلك فالتسبيح المخصوص كاف عن كل ركعة (و ثالثها) إن المراد بالقصر الجمع بين الصلاتين و الصحيح الأول « إن خفتم أن يفتنكم." [١]

"الذين كفروا » يعني خفتم فتنة الذين كفروا في أنفسكم أو دينكم و قيل معناه إن خفتم أن يقتلكم الذين كفروا في الصلاة عن ابن عباس و مثله قوله تعالى « على خوف من فرعون و ملأهم أن يفتنهم » أي يقتلهم و قيل معناه أن يعذبكم الذين كفروا بنوع من أنواع العذاب « إن الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا » أي ظاهري العداوة و في قراءة أبي بن كعب فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة أن يفتنكم الذين كفروا من غير أن يقرأ « إن خفتم » و قيل إن معنى هذه القراءة أن لا يفتنكم أو كراهة أن يفتنكم كما في قوله « يبين الله لكم أن تضلوا » و ظاهر الآية يقتضي أن القصر لا يجوز إلا عند الخوف لكنا قد علمنا جواز القصر عند الأمن ببيان النبي و يحتمل أن يكون ذكر الخوف في الآية قد خرج مخرج الأعم و الأغلب عليهم في أسفارهم فإنهم كانوا يخافون الأعداء في عامتها و مثله في القرآن كثير و اختلف الفقهاء في قصر الصلاة في السفر فقال الشافعي هي رخصة و اختاره الجبائي و قال أبو حنيفة هو عزيمة و فرض و هذا

---

(١) تفسير مجمع البيان – الطبرسي٣/١٥٢

مذهب أهل البيت قال زرارة و محمد بن مسلم قلنا لأبي جعفر ما تقول في الصلاة في السفر كيف هي و كم هي قال إن الله يقول « و إذا ضربتم في الأرض فليس عليكم جناح أن تقصروا من الصلاة » فصار التقصير واجبا في السفر كوجوب التمام في الحضر قالا قلنا أنه قال لا جناح عليكم أن تقصروا من الصلاة و لم يقل افعل فكيف أوجب ذلك كما أوجب التمام قال أ و ليس قال تعالى في الصفا و المروة « فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه أن يطوف بهما » أ لا ترى أن الطواف واجب مفروض لأن الله تعالى ذكرهما في كتابه و صنعهما نبيه و كذا التقصير في السفر شيء صنعه رسول الله و ذكره الله في الكتاب قال قلت فمن صلى في السفر أربعا أ يعيد أم لا قال إن كان قرئت عليه آية التقصير و فسرت له فصلى أربعا أعاد و إن لم يكن قرئت عليه و لم يعلمها فلا إعادة عليه و الصلاة في السفر كل فريضة ركعتان إلا المغرب فإنها ثلاث ليس فيها تقصير تركها رسول الله في السفر و الحضر ثلاث ركعات و في هذا الخبر دلالة على أن فرض المسافر مخالف لفرض المقيم و قد أجمعت الطائفة على ذلك و على أنه ليس بقصر و قد روي عن النبي أنه قال فرض المسافر ركعتان غير قصر و عندهم إن الخوف بانفراده موجب للقصر و فيه خلاف بين الفقهاء و ذهب جماعة من الصحابة و التابعين إلى أن الله عنى بالقصر في الآية قصر صلاة الخوف من صلاة السفر لا من صلاة الإقامة لأن صلاة السفر عندهم ركعتان تمام غير قصر فمنهم جابر بن عبد الله و حذيفة اليمان و زيد بن ثابت و ابن عباس و أبو هريرة و كعب و كان من الصحابة قطعت يده يوم اليمامة و ابن عمر و سعيد بن جبير و السدي و أما حد السفر الذي يجب عنده القصر فعندنا ثمانية." (١)

"عدم الولد و الولد يقع على الابن و البنت بلا خلاف فيه بين أهل اللغة و ما روي من الخبر في أن الأخوات مع البنات عصبة خبر واحد يخالف نص القرآن و إلى هذا الذي ذكرناه ذهب ابن عباس و هو المروي عن سادة أهل البيت (عليهم السلام) « يبين الله لكم » أمور مواريثكم « أن تضلوا » معناه كراهة أن تضلوا أو لئلا تضلوا أي لئلا تخطئوا في الحكم فيها و قيل معناه يبين الله لكم جميع الأحكام لتهتدوا في دينكم عن أبي مسلم « و الله بكل شيء عليم » فائدته هنا بيان كونه سبحانه عالما بجميع ما يحتاج إليه عباده من أمر معاشهم و معادهم على ما توجبه الحكمة و قد تضمنت الآية التي أنزلها الله في أول هذه السورة بيان ميراث الولد و الوالد و الآية التي بعدها بيان ميراث الأزواج و الزوجات و الأخوة و الأخوات من قبل الأم و تضمنت هذه الآية التي ختم بها السورة بيان ميراث الأخوة و الأخوات من الأب و الأم و

---

(١) تفسير مجمع البيان – الطبرسي٣/١٥٣

الأخوة و الأخوات من قبل الأب عند عدم الأخوة و الأخوات من الأب و الأم و تضمن قوله سبحانه « و أولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله » أن تداني القربى سبب في استحقاق الميراث فمن كان أقرب رحما و أدنى قرابة كان أولى بالميراث من الأبعد و الخلاف بين الفقهاء في هذه المسائل و فروعها مذكور في كتب الفقه .." (١)

"الكلب من الصيد فلا تأكل منه فإنما أمسك على نفسه و قيل حد التعليم أن يفعل ذلك ثلاث مرات عن أبي يوسف و محمد و قيل لا حد لتعليم الكلاب و إذا فعل ما قلناه فهو معلم و يدل على ذلك ما رواه أصحابنا أنه إذا أخذ كلب المجوسي فعلمه في الحال فاصطاد به جاز أكل ما يقتله و قد تقدم أن عند أهل البيت لا يحل أكل صيد غير الكلب إلا ما أدرك ذكاته و من أجاز ذلك قال إن تعلم البازي هو أن يرجع إلى صاحبه و تعلم كل جارحة من البهائم و الطير هو أن يشلى على الصيد فيستشلي و يأخذ الصيد و يدعوه صاحبه فيجيب فإذا كان كذلك كان معلما أكل منه أو لم يأكل روي ذلك عن سلمان و سعد بن أبي وقاص و ابن عمر و قال آخرون ما أكل منه فلا يؤكل رووه عن علي (عليه السلام) و الشعبي و عكرمة و قوله « فكلوا مما أمسكن عليكم » أي مما أمسك الجوارح عليكم و هذا يقوي قول من قال ما أكل منه الكلب لا يجوز أكله لأنه أمسك على نفسه و من شرط في استباحة ما يقتله الكلب أن يكون صاحبه قد سمي عند إرساله فإذا لم يسم لم يجز له أكله إلا إذا أدرك ذكاته و أدنى ما يدرك به ذكاته أن يجده تتحرك عينه أو أذنه أو ذنبه فتذكيته حينئذ بفري الحلقوم و الأوداج « و اذكروا اسم الله عليه » أي قبل الإرسال عن ابن عباس و الحسن و السدي و قيل معناه اذكروا اسم الله على ذبح ما تذبحونه و هذا صريح في وجوب التسمية و القول الأول أصح « و اتقوا الله » أي اجتنبوا ما نهاكم الله عنه فلا تقربوه و احذروا معاصيه التي منها أكل صيد الكلب غير المعلم أو ما لم يمسكه عليكم أو ما لم يذكر اسم الله عليه من الصيد و الذبائح « إن الله سريع الحساب » قد مر تفسيره .

اليوم أحل لكم الطيبت و طعام الذين أوتوا الكتب حل لكم و طعامكم حل لهم و المحصنت من المؤمنت و المحصنت من الذين أوتوا الكتب من قبلكم إذا ءاتيتموهن أجورهن محصنين غير مسفحين و لا متخذى أخدان و من يكفر بالايمن فقد حبط عمله و هو فى الاخرة من الخسرين(٥)

---

(١) تفسير مجمع البيان – الطبرسي٣/٢٢٩

المعنى

ثم بين سبحانه في هذه الآية ما يحل من الأطعمة و الأنكحة إتماما لما تقدم." (١)

"اسم المسح و به قال ابن عمر و إبراهيم و الشعبي و هو مذهب الشافعي و قيل يجب مسح جميع الرأس و هو مذهب مالك و قيل يجب مسح ربع الرأس فإن رسول الله كان يمسح على ناصيته و هي قريب من ربع الرأس عن أبي حنيفة و رويت عنه روايات في ذلك لا نطول بذكرها « و أرجلكم إلى الكعبين » اختلف في ذلك فقال جمهور الفقهاء إن فرضهما الغسل و قالت الإمامية فرضهما المسح دون غيره و به قال عكرمة و قد روي القول بالمسح عن جماعة من الصحابة و التابعين كابن عباس و أنس و أبي العالية و الشعبي و قال الحسن البصري بالتخيير بين المسح و الغسل و إليه ذهب الطبري و الجبائي إلا أنهما قالا يجب مسح جميع القدمين و لا يجوز الاقتصار على مسح ظاهر القدم قال ناصر الحق من جملة أئمة الزيدية يجب الجمع بين المسح و الغسل و روي عن ابن عباس أنه وصف وضوء رسول الله (صلى الله عليهوآلهوسلم) فمسح على رجليه و روي عنه أنه قال إن في كتاب الله المسح و يأبى الناس إلا الغسل و قال الوضوء غسلتان و مسحتان و قال قتادة فرض الله غسلتين و مسحتين و روى ابن علية عن حميد عن موسى بن أنس أنه قال لأنس و نحن عنده إن الحجاج خطبنا بالأهواز فذكر الطهر فقال اغسلوا وجوهكم و أيديكم و امسحوا برءوسكم و أنه ليس شيء من بني آدم أقرب من خبثه من قدميه فاغسلوا بطونهما و ظهورهما و عواقيبهما فقال أنس صدق الله و كذب الحجاج قال الله تعالى « و امسحوا برءوسكم و أرجلكم إلى الكعبين » قال فكان أنس إذا مسح قدميه بلهما و قال الشعبي نزل جبرائيل (عليه السلام) بالمسح ثم قال إن في التيمم يمسح ما كان غسلا و يلقى ما كان مسحا و قال يونس حدثني من صحب عكرمة إلى واسط قال فما رأيته غسل رجليه إنما كان يمسح عليهما و أما ما روي عن سادة أهل البيت (عليهم السلام) في ذلك فأكثر من أن يحصى فمن ذلك ما روى الحسين بن سعيد الأهوازي عن فضالة عن حماد بن عثمان عن غالب بن هذيل قال سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن المسح على الرجلين فقال هو الذي نزل به جبرائيل و عنه عن أحمد بن محمد قال سألت أبا الحسن موسى بن جعفر (عليه السلام) عن المسح على القدمين كيف هو فوضع بكفه على الأصابع ثم مسحهما إلى الكعبين فقلت له لو أن رجلا قال بإصبعين من أصابعه هكذا إلى الكعبين قال لا إلا بكفه كلها و أما وجه القراءتين في « أرجلكم » فمن قال بالغسل حمل الجر فيه على أنه عطف « برءوسكم » و قال المراد بالمسح هو الغسل و روي عن أبي

---

(١) تفسير مجمع البيان – الطبرسي٣/٢٤٩

زيد أنه قال المسح خفيف الغسل فقد قالوا تمسحت للصلاة و قوي ذلك بأن التحديد و التوقيت إنما جاء في المغسول و لم يجيء في الممسوح فلما وقع التحديد في المسح علم أنه في حكم الغسل لموافقته الغسل في التحديد و هذا قول أبي علي الفارسي و قال بعضهم." (١)

"الإعراب

« فسادا » مصدر وضع موضع الحال أي يسعون في الأرض مفسدين و « أن يقتلوا » في موضع رفع بأنه خبر المبتدأ الذي هو جزاء « الذين تابوا » و يحتمل أن يكون في موضع رفع بالابتداء و خبره « فاعلموا أن الله غفور رحيم » و يجوز أن يكون في موضع نصب بالاستثناء من قوله « أن يقتلوا » إلى ما بعده من الحد .

النزول

اختلف في سبب نزول الآية فقيل نزلت في قوم كان بينهم و بين النبي موادعة فنقضوا العهد و أفسدوا في الأرض عن ابن عباس و الضحاك و قيل نزلت في أهل الشرك عن الحسن و عكرمة و قيل نزلت في العرينيين لما نزلوا المدينة للإسلام و استوخموها و اصفرت ألوانهم فأمرهم النبي أن يخرجوا إلى إبل الصدقة فيشربوا من ألبانها و أبوالها ففعلوا ذلك فصحوا ثم مالوا إلى الرعاة فقتلوهم و استاقوا الإبل و ارتدوا عن الإسلام فأخذهم النبي (صلى الله عليهوآلهوسلم) و قطع أيديهم و أرجلهم من خلاف و سمل أعينهم عن قتادة و سعيد بن جبير و السدي و قيل نزلت في قطاع الطريق عن أكثر المفسرين و عليه جل الفقهاء .

المعنى

لما قدم تعالى ذكر القتل و حكمه عقبه بذكر قطاع الطريق و الحكم فيهم فقال « إنما جزاء الذين يحاربون الله » أي أولياء الله كقوله تعالى « إن الذين يؤذون الله » « و رسوله » أي يحاربون رسوله « و يسعون في الأرض فسادا » المروي عن **أهل البيت** (عليهم السلام) أن المحارب هو كل من شهر السلاح و أخاف الطريق سواء كان في المصر أو خارج المصر فإن اللص المحارب في المصر و خارج المصر سواء و هو مذهب الشافعي و الأوزاعي و مالك و ذهب أبو حنيفة و أصحابه إلى أن المحارب هو قاطع الطريق في غير المصر و هو المروي عن عطا الخراساني و المعنى في قوله إنما جزاؤهم إلا هذا عن الزجاج قال لأن القائل إذا قال جزاؤك دينار فجائز أن يكون معه غيره و إذا قال إنما جزاؤك دينار كان المعنى ما جزاؤك إلا دينار « أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم و أرجلهم » قال أبو جعفر و أبو عبد الله (عليه السلام)

---

(١) تفسير مجمع البيان – الطبرسي٣/٢٥٤

إنما جزاء المحارب على قدر استحقاقه فإن قتل فجزاؤه أن يقتل و إن قتل و أخذ المال فجزاؤه أن يقتل و يصلب و إن أخذ المال و لم يقتل فجزاؤه أن تقطع يده و رجله من خلاف و إن أخاف السبيل فقط فإنما عليه النفي لا غير و به قال ابن عباس." (١)

"محمد نبيك و صفيك اللهم فاشرح لي صدري و يسر لي أمري و اجعل لي وزيرا من أهلي عليا اشدد به ظهري قال أبو ذر فو الله ما استتم رسول الله الكلمة حتى نزل عليه جبرائيل من عند الله فقال يا محمد اقرأ قال و ما أقرأ قال اقرأ « إنما وليكم الله و رسوله و الذين آمنوا » الآية و روى هذا الخبر أبو إسحاق الثعلبي في تفسيره بهذا الإسناد بعينه و روى أبو بكر الرازي في كتاب أحكام القرآن على ما حكاه المغربي عنه و الرماني و الطبري أنها نزلت في علي حين تصدق بخاتمه و هو راكع و هو قول مجاهد و السدي و المروي عن أبي جعفر (عليه السلام) و أبي عبد الله (عليه السلام) و جميع علماء **أهل البيت** و قال الكلبي نزلت في عبد الله بن سلام و أصحابه لما أسلموا فقطعت اليهود موالاتهم فنزلت الآية و في رواية عطا قال عبد الله بن سلام يا رسول الله أنا رأيت عليا تصدق بخاتمه و هو راكع فنحن نتولاه و قد رواه لنا السيد أبو الحمد عن أبي القاسم الحسكاني بالإسناد المتصل المرفوع إلى أبي صالح عن ابن عباس قال أقبل عبد الله بن سلام و معه نفر من قومه ممن قد آمنوا بالنبي (صلى الله عليهوآلهوسلم) فقالوا يا رسول الله إن منازلنا بعيدة و ليس لنا مجلس و لا متحدث دون هذا المجلس و إن قومنا لما رأونا آمنا بالله و رسوله و صدقناه رفضونا و آلوا على نفوسهم أن لا يجالسونا و لا يناكحونا و لا يكلمونا فشق ذلك علينا فقال لهم النبي (صلى الله عليهوآلهوسلم) « إنما وليكم الله و رسوله » الآية ثم أن النبي خرج إلى المسجد و الناس بين قائم و راكع فبصر بسائل فقال النبي هل أعطاك أحد شيئا فقال نعم خاتم من فضة فقال النبي (صلى الله عليهوآلهوسلم) من أعطاكه قال ذلك القائم و أومأ بيده إلى علي فقال النبي (صلى الله عليهوآلهوسلم) على أي حال أعطاك قال أعطاني و هو راكع فكبر النبي ثم قرأ « و من يتول الله و رسوله و الذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون » فأنشأ حسان بن ثابت يقول في ذلك :

أبا حسن تفديك نفسي و مهجتي

و كل بطيء في الهدى و مسارع

أ يذهب مدحيك المحبر ضائعا

و ما المدح في جنب الإله بضائع

---

(١) تفسير مجمع البيان – الطبرسي٣/٢٩٠

فأنت الذي أعطيت إذ كنت راكعا

زكاة فدتك النفس يا خير راكع

فأنزل فيك الله خير ولاية

و ثبتها مثنى كتاب الشرائع و في حديث إبراهيم بن الحكم بن ظهير أن عبد الله بن سلام أتى رسول الله مع رهط من قومه يشكون إلى رسول الله ما لقوا من قومهم فبينا هم يشكون إذ نزلت هذه الآية و أذن." (١)

"ديارهم و لم يجلوا عن بلادهم و لم يقتلوا فكانوا يتمتعون بأموالهم و زروعهم و ثمارهم و ما رزقهم الله من النعم و إنما خص سبحانه الأكل لأن ذلك معظم الانتفاع و في هذا تأسيف لليهود على ما فاتهم و اعتداد بسعة ما كانوا فيه من نعم الله عليهم و هو جواب تبخيلهم إياه في قولهم يد الله مغلولة و قيل إن المعنى في قوله « لأكلوا من فوقهم و من تحت أرجلهم » التوسعة كما يقال فلان في الخير من قرنه إلى قدمه أي يأتيه الخير من كل جهة يلتمسه منها و نظير هذه الآية قوله « و أن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا و من يتق الله يجعل له مخرجا و يرزقه من حيث لا يحتسب » جعل الله تعالى التقوى من أسباب التوسعة في الرزق « منهم أمة مقتصدة » أي من هؤلاء قوم معتدلون في العمل من غير غلو و لا تقصير قال أبو علي الجبائي و هم الذين أسلموا منهم و تابعوا النبي (صلى الله عليهوآلهوسلم) و به قال مجاهد و السدي و ابن زيد و هو المروي في تفسير **أهل البيت** (عليهم السلام) و قيل يريد به النجاشي و أصحابه و قيل أنهم قوم لم يناصبوا النبي مناصبة هؤلاء حكاه الزجاج و يحتمل أن يكون أراد به من يقر منهم بأن المسيح عبد الله و لا يدعي فيه الإلهية « و كثير منهم ساء ما يعملون » قبح عملهم أي أكثر هؤلاء اليهود و النصارى يعملون الأعمال السيئة و هم الذين يقيمون على الكفر و الجحود بالنبي (صلى الله عليهوآلهوسلم) .

* يأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك و إن لم تفعل فما بلغت رسالته و الله يعصمك من الناس إن الله لا يهدى القوم الكفرين(٦٧)

القراءة

قرأ نافع و ابن عامر و أبو بكر عن عاصم رسالاته على الجمع و الباقون « رسالته » على التوحيد .

الحجة

---

(١) تفسير مجمع البيان – الطبرسي٣/٣٢٤

قال أبو علي حجة من جمع أن الرسل يرسلون بضروب من الرسائل كالتوحيد و الشرائع فلما اختلفت الرسائل حسن أن تجمع كما حسن أن تجمع أسماء الأجناس إذا اختلفت أ لا ترى أنك تقول رأيت تمورا كثيرة نظرت في علوم كثيرة فتجمع هذه الأسماء إذا أردت ضروبها كما تجمع غيرها من الأسماء و حجة من أفرد هذه الأسماء أنها تدل على الكثرة و إن لم تجمع كما تدل الألفاظ المصوغة للجمع فمما يدل على ذلك قوله لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا و ادعوا ثبورا كثيرا فوقع الاسم الشائع على الجميع كما يقع على." (١)

"النزول

لما نزل تحريم الخمر و الميسر قالت الصحابة يا رسول الله ما تقول في إخواننا الذين مضوا و هم يشربون الخمر و يأكلون الميسر فأنزل الله هذه الآية عن ابن عباس و أنس بن مالك و البراء بن عازب و مجاهد و قتادة و الضحاك و قيل إنها نزلت في القوم الذين حرموا على أنفسهم اللحوم و سلكوا طريق الترهيب كعثمان بن مظعون و غيره فبين الله لهم أنه لا جناح في تناول المباح مع اجتناب المحرمات .

المعنى

« ليس على الذين آمنوا و عملوا الصالحات جناح » أي إثم و حرج « فيما طعموا » من الخمر و الميسر قبل نزول التحريم و في تفسير أهل البيت (عليهم السلام) فيما طعموا من الحلال و هذه اللفظة صالحة للأكل و الشرب جميعا « إذا ما اتقوا » شربها بعد التحريم « و آمنوا » بالله « و عملوا الصالحات » أي الطاعات « ثم اتقوا » أي داموا على الاتقاء « و آمنوا » أي داموا على الإيمان « ثم اتقوا » بفعل الفرائض « و أحسنوا » بفعل النوافل و على هذا يكون الاتقاء الأول اتقاء الشرب بعد التحريم و الاتقاء الثاني هو الدوام على ذلك و الاتقاء الثالث اتقاء جميع المعاصي و ضم الإحسان إليه و قيل إن الاتقاء الأول هو اتقاء المعاصي العقلية التي تختص المكلف و لا تتعداه و الإيمان الأول هو الإيمان بالله تعالى و بما أوجب الله تعالى الإيمان به و الإيمان بقبح هذه المعاصي و وجوب تجنبها و الاتقاء الثاني هو اتقاء المعاصي السمعية و الإيمان بقبحها و وجوب اجتنابها و الاتقاء الثالث يختص بمظالم العباد و بما يتعدى إلى الغير من الظلم و الفساد و قال أبو علي الجبائي إن الشرط الأول يتعلق بالزمان الماضي و الشرط الثاني يتعلق بالدوام على ذلك و الاستمرار على فعله و الشرط الثالث يختص بمظالم العباد ثم استدل على أن هذا الاتقاء يختص بمظالم العباد بقوله « أحسنوا » فإن الإحسان إذا كان متعديا وجب أن تكون المعاصي

---

(١) تفسير مجمع البيان – الطبرسي٣/٣٤١

التي أمروا باتقائها قبله أيضا متعدية و هذا ضعيف لأنه لا تصريح في الآية بأن المراد به الإحسان المتعدي و لا يمتنع أن يريد بالإحسان فعل الحسن و المبالغة فيه و إن اختص الفاعل و لا يتعداه كما يقولون لمن بالغ في فعل الحسن أحسنت و أجملت ثم لو سلم أن المراد به الإحسان المتعدي فلم لا يجوز أن يعطف فعل متعد على فعل لا يتعدى و لو صرح تعالى فقال و اتقوا القبائح كلها و أحسنوا إلى غيرهم لم يمتنع و لعل أبا علي إنما عدل في الشرط الثالث عن ذكر الأحوال لما ظن أنه لا يمكن فيه ما أمكن في الأول و الثاني و هذا ممكن غير ممتنع بأن يحمل الشرط الأول على الماضي و الثاني على الحال و الثالث على المنتظر المستقبل و متى قيل أن المتكلمين عندهم لا واسطة بين." (١)

"إلى الطعام فلأنه لما خير المكفر بين ثلاثة أشياء الهدي و الطعام و الصيام استجاز الإضافة لذلك فكأنه قال كفارة طعام لا كفارة هدي و لا صوم فاستقامت الإضافة و أما ذو عدل فقد قال أبو الفتح فيه أنه لم يوحد ذو لأن الواحد يكفي لكنه أراد معنى من أي يحكم به من يعدل و من يكون للاثنين كما يكون للواحد كقوله :

نكن مثل من يا ذئب يصطحبان و أقول إن هذا الوجه الذي ذكره ابن جني بعيد غير مفهوم و قد وجدت في تفسير **أهل البيت** منقولا عن السيدين (عليهماالسلام) أن المراد بذي العدل رسول الله (صلى الله عليهوآلهوسلم) و أولي الأمر من بعده و كفى بصاحب القراءة خبرا بمعنى قراءته .

اللغة

البلاء الاختبار و الامتحان و أصله إظهار باطن الحال و منه البلاء النعمة لأنه يظهر به باطن حال المنعم عليه في الشكر أو الكفر و البلى الخلوقة لظهور تقادم العهد فيه و الغيب ما غاب عن الحواس و منه الغيبة و هو الذكر بظهر الغيب بالقبيح و حرم جمع حرام و رجل حرام و محرم بمعنى و حلال و محل كذلك و أحرم الرجل دخل في الشهر الحرام و أحرم أيضا دخل في الحرم و أحرم أهل بالحج و الحرم الإحرام و منه الحديث كنت أطيب النبي لحرمة و أصل الباب المنع و سميت النساء حرما لأنها تمنع و المحروم الممنوع الرزق و المثل و المثل و الشبه و الشبه واحد و النعم في اللغة هي الإبل و البقر و الغنم و إن انفردت الإبل قيل لها نعم و إن انفردت البقر و الغنم لم تسم نعما ذكره الزجاج قال الفراء العدل بفتح العين ما عادل الشيء من غير جنسه و العدل بالكسر المثل تقول عندي عدل غلامك أو شاتك إذا كانت شاة تعدل شاة أو غلام يعدل غلاما فإذا أردت قيمته من غير جنسه فتحت فقلت عدل و قال البصريون العدل

---

(١) تفسير مجمع البيان – الطبرسي٣/٣٧١

و العدل في معنى المثل كان من الجنس أو غير الجنس و الوبال ثقل الشيء في المكروه و منه قولهم طعام وبيل و ماء وبيل إذا كانا ثقيلين غير ناميين في المال و منه قوله « فأخذناه أخذا وبيلا » أي ثقيلا شديدا و يقال لخشبة القصار وبيل من هذا قال طرفة بن العبد :

فمرت كهاة ذات خيف جلالة

عقيلة شيخ كالوبيل يلندد .

الإعراب

« ليبلونكم » هذه اللام لام القسم و من في قوله « من الصيد » للتبعيض." (١)

"الوحش و شبهه بقرة و في الظبي و الأرنب شاة و هو المروي عن أهل البيت (عليهم السلام) و هو قول ابن عباس و الحسن و مجاهد و السدي و عطاء و الضحاك و غيرهم و قال إبراهيم النخعي يقوم الصيد قيمة عادلة ثم يشتري بثمنه مثله من النعم فاعتبر المماثلة بالقيمة و الصحيح القول الأول « يحكم به ذوا عدل منكم » قال ابن عباس يريد يحكم في الصيد بالجزاء رجلان صالحان منكم أي من أهل ملتكم و دينكم فقيهان عدلان فينظران إلى أشبه الأشياء به من النعم فيحكمان به « هديا بالغ الكعبة » أي يهديه هديا يبلغ الكعبة قال ابن عباس يريد إذا أتى مكة ذبحه و تصدق به و قال أصحابنا إن كان أصاب الصيد و هو محرم بالعمرة ذبح جزاءه أو نحره بمكة قبالة الكعبة و إن كان محرما بالحج ذبحه أو نحره بمنى « أو كفارة طعام مساكين » قيل في معناه قولان (أحدهما) أن يقوم عدله من النعم ثم يجعل قيمته طعاما و يتصدق به عن عطاء و هو الصحيح (و الآخر) أن يقوم الصيد المقتول حيا ثم يجعل طعاما عن قتادة « أو عدل ذلك صياما » و فيه أيضا قولان (أحدهما) أن يصوم عن كل مد يقوم من الطعام يوما عن عطاء و هو مذهب الشافعي (و الآخر) أن يصوم عن كل مدين يوما و هو المروي عن أئمتنا (عليهم السلام) و هو مذهب أبي حنيفة و اختلفوا في هذه الكفارات الثلاث فقيل إنها مرتبة عن ابن عباس و الشعبي و السدي قالوا و إنما دخلت أو لأنه لا يخرج حكمه عن إحدى الثلاث و قيل أنها على التخيير عن ابن عباس في رواية أخرى و عطاء و الحسن و إبراهيم و هو مذهب أبي حنيفة و الشافعي و كلا القولين رواه أصحابنا « ليذوق وبال أمره » أي عقوبة ما فعله في الآخرة إن لم يتب و قيل معناه ليذوق وخامة عاقبة أمره و ثقله بما يلزمه من الجزاء فإن سأل سائل فقال كيف يسمى الجزاء وبالا و إنما هي عبادة فإذا كانت عبادة فهي نعمة و مصلحة فالجواب أن الله سبحانه شدد عليه التكليف بعد أن عصاه

---

(١) تفسير مجمع البيان – الطبرسي٣/٣٧٥

فثقل ذلك عليه كما حرم الشحم على بني إسرائيل لما اعتدوا في السبت فثقل ذلك عليهم و إن كان مصلحة لهم « عفا الله عما سلف » من أمر الجاهلية عن الحسن و قيل عفا الله عما سلف من الدفعة الأولى في الإسلام أي قبل التحريم « و من عاد فينتقم الله منه » أي من عاد إلى قتل الصيد محرما فالله سبحانه يكافيه عقوبة بما صنع و اختلف في لزوم الجزاء بالمعاودة فقيل أنه لا جزاء عليه عن ابن عباس و الحسن و هو الظاهر في روايات أصحابنا و قيل أنه يلزمه الجزاء عن عطاء و سعيد بن جبير و إبراهيم و به قال بعض أصحابنا « و الله عزيز ذو انتقام » معناه قادر لا يغلب." (١)

"ذلك على الأغنياء حتى شكوا و شككوا الناس فيها فأوحى الله إلى عيسى إني شرطت على المكذبين شرطا أن من كفر بعد نزولها أعذبه عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين فقال عيسى إن تعذبهم فإنهم عبادك و إن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم فمسخ منهم ثلثمائة و ثلاثة و ثلاثون رجلا باتوا من ليلهم على فرشهم مع نسائهم في ديارهم فأصبحوا خنازير يسعون في الطرقات و الكناسات و يأكلون العذرة في الحشوش فلما رأى الناس ذلك فزعوا إلى عيسى و بكوا و بكى على الممسوخين أهلوهم فعاشوا ثلاثة أيام ثم هلكوا و في تفسير **أهل البيت** (عليهم السلام) كانت المائدة تنزل عليهم فيجتمعون عليها و يأكلون منها ثم ترتفع فقال كبراؤهم و مترفوهم لا ندع سفلتنا يأكلون منها معنا فرفع الله المائدة ببغيهم و مسخوا قردة و خنازير .

و إذ قال الله يعيسى ابن مريم ء أنت قلت للناس اتخذونى و أمى إلهين من دون الله قال سبحنك ما يكون لى أن أقول ما ليس لى بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما فى نفسى و لا أعلم ما فى نفسك إنك أنت علم الغيوب(١١٦) ما قلت لهم إلا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى و ربكم و كنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم فلما توفيتنى كنت أنت الرقيب عليهم و أنت على كل شىء شهيد(١١٧) إن تعذبهم فإنهم عبادك و إن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم(١١٨)

اللغة

النفس تقع على وجوه فالنفس نفس الإنسان و غيره من الحيوان و هي التي إذا فارقها خرج من كونه حيا و منه قوله « كل نفس ذائقة الموت » و النفس أيضا ذات الشيء الذي يخبر عنه كقولهم فعل ذلك فلان نفسه و النفس أيضا الإرادة كما في قول الشاعر :

---

(١) تفسير مجمع البيان – الطبرسي٣/٣٧٨

فنفساي نفس قالت ائت ابن بجدل
تجد فرجا من كل غمي تهابها." (١)

"الكفار « و إذا تتلى عليه آياتنا ولى مستكبرا كأن لم يسمعها » الآية و لو كان في أذنيه وقر مانع عن السماع مزيل للقدرة لكان لا معنى لقوله « كان في أذنيه وقرا » و لكان لا يستحق المذمة لأنه لم يعط آلة السمع فكيف يذم على ترك السمع « حتى إذا جاءوك يجادلونك » يعني أنهم إذا دخلوا عليك بالنهار يجيئون مجيء مخاصمين مجادلين رادين عليك قولك و لم يجيؤوا مجيء من يريد الرشاد و النظر في الدلالة الدالة على توحيد الله و نبوة نبيه « يقول الذين كفروا إن هذا » أي ما هذا القرآن « إلا أساطير الأولين » أي أحاديث الأولين التي كانوا يسطرونها عن الضحاك و قيل معنى الأساطير الترهات و البسابس مثل حديث رستم و إسفنديار و غيره مما لا فائدة فيه و لا طائل تحته و قال بعضهم أن جدالهم هذا القول منهم و قيل هو مثل قولهم أ تأكلون ما تقتلونه بأيديكم و لا تأكلون ما قتله الله تعالى .

و هم ينهون عنه و ينئون عنه و إن يهلكون إلا أنفسهم و ما يشعرون(٢٦)

اللغة

الناي البعد يقال نأيت عنه أنأى نأيا و منه أخذ النؤي و هو الحاجز حول البيت لئلا يدخله الماء .

المعنى

ثم كنى عن الكفار الذين تقدم ذكرهم فقال « و هم ينهون عنه و ينئون عنه » أي ينهون الناس عن اتباع النبي (صلى الله عليهوآلهوسلم) و يتباعدون عنه فرارا منه عن ابن عباس و محمد بن الحنفية و الحسن و السدي و قيل معناه ينهون الناس عن استماع القرآن لئلا يقع في قلوبهم صحته و يتباعدونهم عن استماعه عن قتادة و مجاهد و اختاره الجبائي و قيل عنى به أبا طالب بن عبد المطلب و معناه يمنعون الناس عن أذى النبي (صلى الله عليهوآلهوسلم) و لا يتبعونه عن عطا و مقاتل و هذا لا يصح لأن هذه الآية معطوفة على ما تقدمها و ما تأخر عنها معطوف عليها و كلها في ذم الكفار المعاندين للنبي (صلى الله عليهوآلهوسلم) هذا و قد ثبت إجماع **أهل البيت** (عليهم السلام) على إيمان أبي طالب و إجماعهم حجة لأنهم أحد الثقلين اللذين أمر النبي (صلى الله عليهوآلهوسلم) بالتمسك بهما بقوله إن تمسكتم بهما لن تضلوا و يدل على ذلك أيضا ما رواه ابن عمر أن أبا بكر جاء بأبيه أبي قحافة." (٢)

(١) تفسير مجمع البيان – الطبرسي٣/٤١١

(٢) تفسير مجمع البيان – الطبرسي٤/٢٥

"قل لا أقول لكم عندى خزائن الله و لا أعلم الغيب و لا أقول لكم إنى ملك إن أتبع إلا ما يوحى إلى قل هل يستوى الأعمى و البصير أ فلا تتفكرون(٥٠)

اللغة

الخزائن جمع الخزانة و هي اسم المكان الذي يخزن فيه الشيء و خزن الشيء إحرازه بحيث لا تناله الأيدي و منه خزن اللحم خزنا إذا تغير لأنه يخبأ حتى ينتن .

المعنى

ثم أمر النبي (صلى الله عليهوآلهوسلم) أن يقول لهم بعد اقتراحهم الآيات منه أني لا أدعي الربوبية و إنما أدعي النبوة فقال « قل » يا محمد « لا أقول لكم » أيها الناس « عندي خزائن الله » يريد خزائن رحمة الله عن ابن عباس و قيل خزائن الله مقدوراته عن الجبائي و قيل أرزاق الخلق حتى يؤمنوا طمعا في المال « و لا أعلم الغيب » الذي يختص الله بعلمه و إنما أعلم قدر ما يعلمني الله تعالى من أمر البعث و النشور و الجنة و النار و غير ذلك و قيل عاقبة ما تصيرون إليه عن ابن عباس « و لا أقول لكم إني ملك » لأني إنسان تعرفون نسبي يريد لا أقدر على ما يقدر عليه الملك و قد استدل بهذا على أن الملائكة أفضل من الأنبياء و هذا بعيد لأن الفضل الذي هو كثرة الثواب لا معنى له هاهنا و إنما المراد لا أقول لكم إني ملك فأشاهد من أمر الله و غيبه عن العباد ما تشاهده الملائكة « إن أتبع إلا ما يوحى إلي » يريد ما أخبركم إلا بما أنزله الله إلي عن ابن عباس و قال الزجاج أي ما أنبأتكم به من غيب فيما مضى و فيما سيكون فهو بوحي من الله عز و جل ثم أمره سبحانه فقال « قل » يا محمد لهم « هل يستوي الأعمى و البصير » أي هل يستوي العارف بالله سبحانه العالم بدينه و الجاهل به و بدينه فجعل الأعمى مثلا للجاهل و البصير مثلا للعارف بالله و بنبيه و هذا قول الحسن و اختاره الجبائي و في تفسير **أهل البيت** هل يستوي من يعلم و من لا يعلم و قيل معناه هل يستوي من صدق على نفسه و اعترف بحاله التي هو عليها من الحاجة و العبودية لخالقه و من ذهب عن البيان و عمي عن الحق عن البلخي « أ فلا تتفكرون » فتنصفوا من أنفسكم و تعملوا بالواجب عليكم من الإقرار بالتوحيد و نفي التشبيه و هذا استفهام يراد به الإخبار يعني إنهما لا يستويان .." (١)

"و الاعتراض المنع من الشيء الحاجز عنه عرضا و منه العرض الذي يظهر كالظهور بالعرض ثم لا يلبث و حد أيضا بأنه ما يظهر في الوجود و لا يكون له لبث كلبث الجواهر .

---

(١) تفسير مجمع البيان – الطبرسي٤/٥١

المعنى

ثم أمر سبحانه نبيه (صلى الله عليهوآلهوسلم) باتباع الوحي فقال « اتبع » أيها الرسول « ما أوحي إليك من ربك لا إله إلا هو » إنما أعاد سبحانه هذا القول لأن المراد ادعهم إلى أنه لا إله إلا هو عن الحسن و قيل معناه ما أوحي إليك من أنه لا إله إلا هو « و أعرض عن المشركين » قال ابن عباس نسخته آية القتال و قيل معناه اهجرهم و لا تخالطهم و لا تلاطفهم و لم يرد به الإعراض عن دعائهم إلى الله تعالى و حكمه ثابت « و لو شاء الله ما أشركوا » أي لو شاء الله أن يتركوا الشرك قهرا و إجبارا لاضطرهم إلى ذلك إلا أنه لم يضطرهم إليه بما ينافي أمر التكليف و أمرهم بتركه اختيارا ليستحقوا الثواب و المدح عليه فلم يتركوه فأتوا به من قبل نفوسهم و في تفسير أهل البيت (عليهم السلام) لو شاء الله أن يجعلهم كلهم مؤمنين معصومين حتى كان لا يعصيه أحد لما كان يحتاج إلى جنة و لا إلى نار و لكنه أمرهم و نهاهم و امتحنهم و أعطاهم ما له به عليهم الحجة من الآلة و الاستطاعة ليستحقوا الثواب و العقاب « و ما جعلناك عليهم حفيظا » مراقبا لأعمالهم « و ما أنت عليهم بوكيل » أي و لست بموكل عليهم بذلك و إنما أنت رسول عليك البلاغ و علينا الحساب و جمع بين حفيظ و وكيل لاختلاف معنى اللفظين فإن الحافظ للشيء هو الذي يصونه عما يضره و الوكيل على الشيء هو الذي يجلب الخير إليه .

و لا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا بغير علم كذلك زينا لكل أمة عملهم ثم إلى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون(١٠٨)

القراءة

قرأ يعقوب عدوا بضم العين و الدال و تشديد الواو و هو قراءة الحسن و أبي رجاء و قتادة و قرأ الباقون « عدوا » بفتح العين و سكون الدال .

الحجة

العدو و العدو جميعا الظلم و التعدي للحق و مثلهما العدوان و العداء و إنما انتصب « عدوا » لأنه مصدر في موضع الحال .." (١)

"« و لو أننا نزلنا إليهم الملائكة » حتى يروهم عيانا يشهدون لنبينا بالرسالة « و كلمهم الموتى » أي و أحيينا الموتى حتى كلموهم بالتوحيد و شهدوا لمحمد بالرسالة « و حشرنا » أي جمعنا « عليهم كل شيء » أي كل آية و قيل كل ما سألوه « قبلا » أي معاينة و مقابلة حتى يواجهوها عن ابن عباس و

---

(١) تفسير مجمع البيان - الطبرسي١١٧/٤

قتادة و معناه أنهم من شدة عنادهم و تركهم الانقياد و الإذعان للحق يشكون في المشاهدات التي لا يشك فيها و مثله قوله « و إن يروا كسفا من السماء ساقطا يقولوا سحاب مركوم » و قبلا أي قبيلا قبيلا يعني جماعة جماعة عن مجاهد هذا إذا حملت قبلا على جمع القبيل الذي هو الصنف و إنما كانت تبهر هذه الآية لأنه ليس في العرف أن يجتمع جميع الأشياء و تنحشر إلى موضع و قيل كفلاء عن الفراء و هذا الوجه فيه بعد لأنهم إذا لم يؤمنوا عند إنزال الملائكة إليهم و كلام الموتى فإن لا يؤمنوا بالكفالة أجدر إلا أن يكون المراد حشر كل شيء و في الأشياء المحشورة ما لا ينطق فإذا نطق بالكفالة ما لا ينطق كان خارقا للعادة « ما كانوا ليؤمنوا » عند هذه الآيات « إلا أن يشاء الله » أن يجبرهم على الإيمان عن الحسن و هو المروي عن أهل البيت (عليهم السلام) و المعنى أنهم قط لا يؤمنون مختارين إلا أن يكرهوا « و لكن أكثرهم يجهلون » أن الله قادر على ذلك و قيل معناه يجهلون أنهم لو أوتوا بكل آية ما آمنوا طوعا و قيل معناه يجهلون مواضع المصلحة فيبطلون ما لا فائدة فيه و في الآية دلالة على أن الله سبحانه لو علم أنه إذا فعل ما اقترحوه من الآيات آمنوا لفعل ذلك و لكان ذلك من الواجب في حكمته لأنه لو لم يجب ذلك لم يكن لتعليله بأنه لم يظهر هذه الآيات لعلمه بأنه لو فعلها لم يؤمنوا معنى و فيها أيضا دلالة على أن إرادته محدثة لأن الاستثناء يدل على ذلك إذ لو كانت قديمة لم يجز هذا الاستثناء و لم يصح كما كان لا يصح لو قال ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يعلم الله و إلا أن يقدر الله لحصول هاتين الصفتين فيما لم يزل و متى قيل فلم لا يقال أنهم لم يؤمنوا لأنه سبحانه يعلم أنه لم يشأ فالقول فيه أنه لو كان كذلك لكان وقوع الإيمان منهم موقوفا على المشيئة سواء كانت الآيات أم لم تكن و في هذا إبطال للآيات .

و كذلك جعلنا لكل نبى عدوا شيطين الانس و الجن يوحى بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا و لو شاء ربك ما فعلوه فذرهم و ما يفترون(١١٢) و لتصغى إليه أفئدة الذين لا يؤمنون بالاخرة و ليرضوه و ليقترفوا ما هم مقترفون(١١٣)." (١)

"و قيل هي أنفال السرايا عن الحسن بن صالح بن حي و قيل هي ما شذ عن المشركين إلى المسلمين من عبد أو جارية من غير قتال أو ما أشبه ذلك عن عطا و قيل هو للنبي (صلى الله عليهوآلهوسلم) خاصة يعمل به ما شاء و قيل هو ما سقط من المتاع بعد قسمته الغنائم من الغرس و الزرع و الرمح عن ابن عباس في رواية أخرى و روي عنه أيضا أنه سلب الرجل و فرسه ينفل النبي (صلى الله عليهوآلهوسلم) من شاء و قيل هي الخمس الذي جعله الله لأهل الخمس عن مجاهد في رواية أخرى و صحت الرواية عن أبي جعفر

---

(١) تفسير مجمع البيان – الطبرسي٤/١٢٣

و أبي عبد الله (عليه السلام) أنهما قالا إن الأنفال كل ما أخذ من دار الحرب بغير قتال و كل أرض انجلى أهلها عنها بغير قتال و يسميها الفقهاء فيئا و ميراث من لا وارث له و قطائع الملوك إذا كانت في أيديهم من غير غصب و الآجام و بطون الأودية و الأرضون الموات و غير ذلك مما هو مذكور في مواضعه و قالا هي لله و للرسول و بعده لمن قام مقامه فيصرفه حيث شاء من مصالح نفسه ليس لأحد فيه شيء و قالا أن غنائم بدر كانت للنبي (صلى الله عليهوآلهوسلم) خاصة فسألوه أن يعطيهم و قد صح أن قراءة **أهل البيت** (عليهم السلام) يسألونك الأنفال فقال الله تعالى « قل » يا محمد « الأنفال لله و الرسول » و كذلك ابن مسعود و غيره إنما قرءوا كذلك على هذا التأويل فعلى هذا فقد اختلفوا في كيفية سؤالهم النبي (صلى الله عليهوآلهوسلم) فقال هؤلاء إن أصحابه سألوه أن يقسم غنيمة بدر بينهم فأعلمهم الله سبحانه أن ذلك لله و لرسوله دونهم و ليس لهم في ذلك شيء و روي ذلك أيضا عن ابن عباس و ابن جريج و الضحاك و عكرمة و الحسن و اختاره الطبري و قالوا أن عن صلة و معناه يسألونك الأنفال أن تعطيهم و يؤيد هذا القول قوله « فاتقوا الله » إلى آخر الآية ثم اختلف هؤلاء فقال بعضهم هي منسوخة ب آية الغنيمة و هي قوله « و اعلموا أنما غنمتم من شيء » و قال بعضهم ليست بمنسوخة و هو الصحيح لأن النسخ يحتاج إلى دليل و لا تنافي بين هذه الآية و آية الخمس و قال آخرون أنهم سألوا النبي (صلى الله عليهوآلهوسلم) عن حكم الأنفال و علمها فقالوا لمن الأنفال و تقديره يسألونك عن الأنفال لمن هي و لهذا جاء الجواب بقوله « قل الأنفال لله و الرسول » و قال آخرون أنهم سألوه عن حال الغنائم و قسمتها و أنها حلال أم حرام كما كانت حراما على من قبلهم فبين لهم أنها حلال و اختلفوا أيضا في سبب سؤالهم فقال ابن عباس أن النبي (صلى الله عليهوآلهوسلم) قال يوم بدر من جاء بكذا فله كذا و من جاء بأسير فله كذا فتسارع الشبان و بقي الشيوخ." (١)

"و حمل أمير المؤمنين علي (عليه السلام) على الوليد فضربه على حبل عاتقه فأخرج السيف من إبطه قال علي لقد أخذ الوليد يمينه بيساره فضرب بها هامتي فظننت أن السماء وقعت على الأرض ثم اعتنق حمزة و شيبة فقال المسلمون يا علي أ ما ترى أن الكلب قد نهز عمك فحمل عليه علي (عليه السلام) ثم قال يا عم طأطىء رأسك و كان حمزة أطول من شيبة فأدخل حمزة رأسه في صدره فضربه علي فطرح نصفه ثم جاء إلى عتبة و به رمق فأجهز عليه و في رواية أخرى أنه برز حمزة لعتبة و برز عبيدة لشيبة و برز علي (عليه السلام) للوليد فقتل حمزة عتبة و قتل عبيدة شيبة و قتل علي (عليه السلام) الوليد فضرب

---

(١) تفسير مجمع البيان - الطبرسي٤/٣٧٧

شيبة رجل عبيدة فقطعها فاستنفذه حمزة و علي و حمل عبيدة حمزة و علي حتى أتيا به رسول الله (صلى الله عليهوآلهوسلم) فاستعبر فقال يا رسول الله أ لست شهيدا قال بلى أنت أول شهيد من أهل بيتي و قال أبو جهل لقريش لا تعجلوا و لا تبطروا كما بطر أبناء ربيعة عليكم بأهل يثرب فاجزروهم جزرا و عليكم بقريش فخذوهم أخذا حتى ندخلهم مكة فنعرفهم ضلالتهم التي هم عليها و جاء إبليس في صورة سراقة بن مالك بن جشعم فقال لهم أنا جار لكم ادفعوا إلي رايتكم فدفعوا إليه راية الميسرة و كانت الراية مع بني عبد الدار فنظر إليه رسول الله (صلى الله عليهوآلهوسلم) فقال لأصحابه غضوا أبصاركم و عضوا على النواجذ و رفع يده فقال يا رب إن تهلك هذه العصابة لا تعبد ثم أصابه الغشي فسري عنه و هو يسلت العرق عن وجهه فقال هذا جبرائيل قد أتاكم بألف من الملائكة مردفين و روى أبو أمامة بن سهل بن حنيف عن أبيه قال لقد رأينا يوم بدر أن أحدنا يشير بسيفه إلى المشرك فيقع رأسه من جسده قبل أن يصل إليه السيف قال ابن عباس حدثني رجل من بني غفار قال أقبلت أنا و ابن عم لي حتى أصعدنا في جبل يشرف بنا على بدر و نحن مشركان ننتظر الوقعة على من تكون الدبرة فبينا نحن هناك إذ دنت منا سحابة فسمعنا فيها جمجمة الخيل فسمعت قائلا يقول أقدم حيزوم ثم قال فأما ابن عمي فانكشف قناع قلبه فمات مكانه و أما أنا فكدت أهلك ثم تماسكت و روى عكرمة عن ابن عباس أن النبي (صلى الله عليهوآلهوسلم) قال يوم بدر هذا جبرائيل آخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب أورده البخاري في الصحيح قال عكرمة قال أبو رافع مولى رسول الله (صلى الله عليهوآلهوسلم) كنت غلاما للعباس بن عبد المطلب و كان الإسلام قد دخلنا **أهل البيت** و أسلمت أم الفضل و أسلمت و كان العباس يهاب قومه و يكره أن يخالفهم و كان يكتم إسلامه و كان ذا مال كثير متفرق في قومه و كان أبو لهب عدو الله قد تخلف عن بدر و بعث مكانه العاص بن هشام بن المغيرة و كذلك صنعوا لم." (١)

"و الزبرجد الأخضر لا أذى فيها و لا وصب و لا نصب عن الحسن « في جنات عدن » أي في جنات إقامة و خلد و قيل هي بطنان الجنة أي وسطها عن ابن مسعود و قيل هي مدينة في الجنة و فيها الرسل و الأنبياء و الشهداء و أئمة الهدى و الناس حولهم و الجنان حولها عن الضحاك و قيل إن عدنا أعلى درجة في الجنة و فيها عين التسنيم و الجنان حولها محدقة بها و هي مغطاة من يوم خلقها الله عز و جل حتى ينزلها أهلها الأنبياء و الصديقون و الشهداء و الصالحون و من شاء الله و فيها قصور الدر و اليواقيت و الذهب فتهب ريح طيبة من تحت العرش فتدخل عليهم كثبان المسك الأبيض عن مقاتل و

(١) تفسير مجمع البيان – الطبرسي٤/٣٩٢

الكلبي و روي عن النبي (صلى الله عليهوآلهوسلم) أنه قال عدن دار الله التي لم ترها عين و لم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلاثة النبيين و الصديقين و الشهداء يقول الله عز و جل طوبى لمن دخلك « و رضوان من الله أكبر » رفع على الابتداء أي و رضا الله تعالى عنهم أكبر من ذلك كله قال الجبائي إنما صار الرضوان أكبر من الثواب لأنه لا يوجد شيء منه إلا بالرضوان و هو الداعي إليه الموجب له و قال الحسن لأن ما يصل إلى القلب من السرور برضوان الله أكبر من جميع ذلك و إنما رفع رضوان لأنه استأنفه للتعظيم كما يقول القائل أعطيتك و وصلتك ثم يقول و حسن رأيي فيك و رضاي عنك خير من جميع ذلك « ذلك هو الفوز العظيم » أي ذلك النعيم الذي وصفت هو النجاح العظيم الذي لا شيء أعظم منه ثم أمر سبحانه بالجهاد فقال « يا أيها النبي جاهد الكفار » بالسيف و القتال « و المنافقين » و اختلفوا في كيفية جهاد المنافقين فقيل إن جهادهم باللسان و الوعظ و التخويف عن الجبائي و قيل جهادهم بإقامة الحدود عليهم و كان نصيبهم من الحدود أكثر و قيل هو بالأنواع الثلاثة بحسب الإمكان يريد باليد فإن لم يستطع فباللسان فإن لم يستطع فبالقلب فإن لم يقدر فـليكفهر في وجوههم عن ابن مسعود و روي في قراءة أهل البيت جاهد الكفار بالمنافقين قالوا لأن النبي (صلى الله عليهوآلهوسلم) لم يكن يقاتل المنافقين . و إنما كان يتألفهم لأن المنافقين لا يظهرون الكفر و علم الله تعالى بكفرهم لا يبيح قتلهم إذا كانوا يظهرون الإيمان « و أغلظ عليهم » و معناه و أسمعهم الكلام الغليظ الشديد و لا ترق عليهم « و مأواهم جهنم » أي منزلهم و مقامهم و مسكنهم جهنم يريد مأوى الفريقين « و بئس المصير » أي بئس المرجع و المأوى .." (١)

"بالانصراف من غزاتهم من غير أمر فعصمهم الله تعالى من ذلك حتى مضوا مع النبي (صلى الله عليهوآلهوسلم) « ثم تاب عليهم » من بعد ذلك الزيغ و لم يرد بالزيغ هاهنا الزيغ عن الإيمان « إنه بهم رءوف رحيم » تداركهم برحمته و الرأفة أعظم من الرحمة « و على الثلاثة الذين خلفوا » قال مجاهد معناه خلفوا عن قبول التوبة بعد قبول توبة من قبل توبتهم من المنافقين كما قال سبحانه فيما مضى « و آخرون مرجون لأمر الله إما يعذبهم و إما يتوب عليهم » و قال الحسن و قتادة معناه خلفوا عن غزوة تبوك لما تخلفوا هم و أما قراءة أهل البيت (عليهم السلام) خالفوا فإنهم قالوا لو كانوا « خلفوا » لما توجه عليهم العتب و لكنهم خالفوا « حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت » أي برحبها و ما هاهنا مصدرية و معناه ضاقت عليهم الأرض مع اتساعها و هذه صفة من بلغ غاية الندم حتى كأنه لا يجد لنفسه مذهبا و

(١) تفسير مجمع البيان - الطبرسي٥/٧٦

ذلك بأن النبي أمر الناس بأن لا يجالسوهم و لا يكلموهم كما مر ذكره لأنه كان نزلت توبة الناس و لم تنزل توبتهم و لم يكن ذلك على معنى رد توبتهم لأنهم كانوا مأمورين بالتوبة و لا يجوز في الحكمة رد توبة من يتوب في وقت التوبة و لكن الله سبحانه أراد بذلك تشديد المحنة عليهم في تأخير إنزال توبتهم و أراد بذلك استصلاحهم و استصلاح غيرهم لئلا يعودوا إلى مثله « و ضاقت عليهم أنفسهم » هذه عبارة عن المبالغة في الغم حتى كأنهم لم يجدوا لأنفسهم موضعا يخفونها فيه و قيل معنى ضيق أنفسهم ضيق صدورهم بالهم الذي حصل فيها « و ظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه » أي و أيقنوا أنه لا يعصمهم من الله موضع يعتصمون به و يلجئون إليه غيره تعالى و معناه علموا أنه لا معتصم من الله إلا به و أن لا ينجيهم من عذاب الله إلا التوبة « ثم تاب عليهم ليتوبوا » أي ثم سهل الله عليهم التوبة حتى تابوا و قيل ليتوبوا أي ليعودوا إلى حالتهم الأولى قبل المعصية و قيل معناه ثم تاب على الثلاثة و أنزل توبتهم على نبيه (صلى الله عليهوآلهوسلم) ليتوب المؤمنون من ذنوبهم لعلمهم بأن الله سبحانه قابل التوبة قال الحسن أما و الله ما سفكوا من دم و لا أخذوا من مال و لا قطعوا من رحم و لكن المسلمين تسارعوا في الشخوص مع رسول الله (صلى الله عليهوآلهوسلم) و تخلف هؤلاء و كان أحدهم تخلف بسبب ضيعة له و الآخر لأهله و الآخر طلبا للراحة ثم ندموا و تابوا فقبل الله توبتهم « إن الله هو التواب » أي الكثير القبول للتوبة « الرحيم » بعباده .

النظم

اتصلت الآية الأولى بقوله « التائبون » الآية أثنى الله سبحانه عليهم هناك و بين في هذه الآية قبول توبتهم و رضاه عنه باتباعهم للنبي (صلى الله عليهوآلهوسلم) في ساعة العسرة عن أبي مسلم و قيل إنه سبحانه لما ذكر أن له ملك السماوات و الأرض و لا ناصر لأحد دونه بين عقيبه رحمته بالمؤمنين و رأفته بهم في قبول توبتهم .." (١)

"يرون و كذلك إني لكما لمن الناصحين متعلق بما دل عليه النصح المظهر و التقدير إني ناصح لكما لمن الناصحين و كذلك به في قوله « ما ليس لك به علم » يتعلق بما يدل عليه قوله علم الظاهر و إن لم يجز أن يعمل فيه و الوجه الآخر أن يكون متعلقا بالمستقر و هو العامل فيه كتعلق الظرف بالمعاني كما تقول ليس لك فيه رضا فيكون به في الآية بمنزلة فيه و العلم يراد به العلم المتيقن الذي يعلم به الشيء على الحقيقة ليس العلم الذي يعلم به الشيء على ظاهره كالذي في قوله « فإن علمتموهن مؤمنات » و

(١) تفسير مجمع البيان – الطبرسي٥/١٢١

نحو ما يعلمه الحاكم بشهادة الشاهدين و إقرار المقر بما يدعي و نحو ذلك مما يعلم به العلم الظاهر الذي يسع الحاكم الحكم بالشيء معه « تلك من أنباء الغيب » تلك مبتدأ و من أنباء الغيب الخبر و « نوحيها إليك » خبر ثان و إن شئت كان في موضع الحال أي تلك كائنة من أنباء الغيب موحاة إليك و إن شئت كان تلك مبتدأ و نوحيها الخبر و الجار من صلة نوحيها أي تلك نوحيها إليك من أنباء الغيب و لا يجوز أن يكون من زيادة على تقدير تلك أنباء الغيب لأنها لا تزاد في الموجب و يجوز على قول الأخفش .

المعنى

ثم حكى سبحانه تمام قصة نوح (عليه السلام) فقال « و نادى نوح ربه » نداء تعظيم و دعاء « فقال رب إن ابني من أهلي و إن وعدك الحق » معناه يا مالكي و خالقي و رازقي وعدتني بتنجية أهلي و إن ابني من أهلي و إن وعدك الحق لا خلف فيه فنجه إن كان ممن وعدتني بنجاته « و أنت أحكم الحاكمين » في قولك و فعلك « قال » الله سبحانه « يا نوح إنه ليس من أهلك » و قد قيل في معناه أقوال (أحدها) أنه كان ابنه لصلبه و المعنى أنه ليس من أهلك الذين وعدتك بنجاتهم معك لأن الله سبحانه قد استثنى من أهله الذين وعده أن ينجيهم من أراد إهلاكهم بالغرق فقال إلا من سبق عليه القول عن ابن عباس و سعيد بن جبير و الضحاك و عكرمة و اختاره الجبائي (و ثانيها) أن المراد بقوله « ليس من أهلك » أنه ليس على دينك فكأن كفره أخرجه عن أن يكون له أحكام أهله عن جماعة من المفسرين و هذا كما قال النبي (صلى الله عليهوآلهوسلم) سلمان منا أهل البيت و إنما أراد على ديننا و روى علي بن مهزيار عن الحسن بن علي الوشاء عن الرضا (عليه السلام) قال قال أبو عبد الله (عليه السلام) أن الله تعالى قال لنوح « إنه ليس من أهلك » لأنه كان مخالفا له و جعل من اتبعه من أهله و يؤيد هذا التأويل أن الله سبحانه قال على طريق التعليل « إنه عمل غير صالح » فبين أنه إنما خرج عن أحكام أهله لكفره و سوء عمله و روي عن عكرمة أنه قال كان ابنه و لكنه كان مخالفا له في العمل و النية فمن ثم قيل « إنه ليس من أهلك » (و ثالثها) أنه لم يكن ابنه على الحقيقة و إنما ولد على فراشه فقال." [١]

"و لقد جاءت رسلنا إبرهيم بالبشرى قالوا سلما قال سلم فما لبث أن جاء بعجل حنيذ(٦٩) فلما رءا أيديهم لا تصل إليه نكرهم و أوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أرسلنا إلى قوم لوط(٧٠) و امرأته قائمة فضحكت فبشرنها بإسحق و من وراء إسحق يعقوب(٧١) قالت يويلتى ء ألد و أنا عجوز و هذا

---

(١) تفسير مجمع البيان – الطبرسي٥/٢٥٣

بعلى شيخا إن هذا لشىء عجيب(٧٢) قالوا أ تعجبين من أمر الله رحمت الله و بركته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد(٧٣) فلما ذهب عن إبرهيم الروع و جاءته البشرى يجدلنا فى قوم لوط(٧٤) إن إبرهيم لحليم أوه منيب(٧٥) يإبرهيم أعرض عن هذا إنه قد جاء أمر ربك و إنهم ءاتيهم عذاب غير مردود(٧٦)

القراءة

قرأ حمزة و الكسائي قال سلم بكسر السين و سكون اللام هنا و في الذاريات و قرأ الباقون « قال سلام » و قرأ « يعقوب » بالنصب ابن عامر و حمزة و حفص عن عاصم و قرأ الباقون يعقوب بالرفع و في الشواذ قراءة الأعمش و هذا بعلي شيخ بالرفع .

الحجة

قال أبو علي أخبر أبو إسحاق عن محمد بن يزيد قال السلام أربعة أشياء منها مصدر سلمت و السلام شجر قال الإسلام و حرمل و السلام جمع سلامة و السلام اسم من أسماء الله تعالى و قوله دار السلام يحتمل أن يكون مضافة إلى الله تعظيما لها و يحتمل أن يكون دار السلامة من العقاب فمن حصل فيها كان على خلاف من وصف بقوله و يأتيه الموت من كل مكان و أما انتصاب قوله « سلاما » فلأنه لم يحك شيئا تكلموا به فيحكي كما يحكي الجمل و لكن هو معنى ما تكلمت به الرسل كما أن القائل إذا قال لا إله إلا الله فقلت حقا أو قلت إخلاصا أعملت القول في المصدرين لأنك ذكرت معنى ما قال و لم تحك." (١)

"فأضحكت السباع سيوف سعد

لقتلي ما دفن و لا ودينا « قالت » سارة « يا ويلتي أ ألد و أنا عجوز » أي هذا شيء عجيب أن ألد و قد شخت من زوج شيخ و لم تشك في قدرة الله تعالى و لكن إنما قالت ذلك لكونه خارجا عن العادة كما ولى موسى مدبرا حين انقلبت عصاه حية حتى قيل له أقبل و لا تخف و إلا فهي كانت عارفة بأن الله تعالى يقدر على ذلك و لم ترد بقولها يا ويلتي الدعاء على نفسها بالويل و لكنها كلمة تجري على أفواه النساء إذا طرأ عليهن ما يتعجبن منه و قيل إنها لم تتعجب من قدرة الله و لكنها أرادت أن تعرف هل تتحول شابة أم تلد على تلك الحال و كل ذلك عجيب « و هذا بعلي شيخا » أي هذا الذي تعرفونه بعلي و هو شيخ « إن هذا » الذي بشرت به « لشيء عجيب قالوا » أي قالت الملائكة لها حين تعجبت من أن تلد بعد الكبر « أ تعجبين من أمر الله » و معنى الاستفهام هاهنا التنبيه و التوقيف أي أ تعجبين من

---

(١) تفسير مجمع البيان - الطبرسي٥/٢٦٧

أن يفعل الله تعالى ذلك بك و لزوجك « رحمة الله و بركاته عليكم أهل البيت » أي ليس هذا موضع تعجب لأن التعجب إنما يكون من الأمر الذي لا يعرف سببه و نعمة الله تعالى و كثرة خيراته النامية الباقية عليكم و هذا يحتمل أن يكون إخبارا عن ثبوت ذلك لهم و تذكيرا بنعمة الله و بركاته عليهم و يحتمل أن يكون دعاء لهم بالرحمة و البركة من الملائكة فقالوا رحمة الله و بركاته عليكم يا أهل البيت كما يقال أ تتعجب من كذا بارك الله فيك و يرحمك الله و يعني بأهل البيت أهل بيت إبراهيم (عليه السلام) و إنما جعلت سارة من أهل بيته لأنها كانت ابنة عمه و لا دلالة في الآية على أن زوجة الرجل من أهل بيته على ما قاله الجبائي و روي أن أمير المؤمنين (عليه السلام) مر بقوم فسلم عليهم فقالوا و عليك السلام و رحمة الله و بركاته عليكم أهل البيت و مغفرته و رضوانه فقال (عليه السلام) لهم لا تجاوزوا بنا ما قالت الملائكة لأبينا إبراهيم (عليه السلام) « رحمة الله و بركاته عليكم أهل البيت » « إنه حميد » أي محمود على أفعاله و قيل الحميد الذي يحمد عباده على الطاعات « مجيد » أي كريم و هو المبتدىء بالعطية قبل الاستحقاق و قيل معناه واسع القدرة و النعمة عن أبي مسلم و روي أن سارة قالت لجبرائيل (عليه السلام) ما آية ذلك فأخذه بيده عودا يابسا فلواه بين أصابعه فاهتز أخضر عن السدي « فلما ذهب عن إبراهيم الروع » أي الخوف و الفزع الذي دخله من الرسل « و جاءته البشرى » بالولد « يجادلنا في قوم لوط » أي يجادل رسلنا و يسائلهم في قوم." (١)

"أهل البيت (عليهم السلام) بالإسناد عن زرارة و محمد بن مسلم و حمران بن أعين عن أبي جعفر و أبي عبد الله (عليه السلام) قالا تبدل الأرض خبزة نقية يأكل الناس منها حتى يفرغ من الحساب قال الله تعالى و ما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام و هو قول سعيد بن جبير و محمد بن كعب و روى سهل بن سعد الساعدي عن النبي (صلى الله عليهوآلهوسلم) أنه قال يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس فيها معلم لأحد و روي عن ابن مسعود أنه قال تبدل الأرض بنار فتصير الأرض كلها يوم القيامة نارا و الجنة من ورائها يرى كواعبها و أكوابها و يلجم الناس العرق و لم يبلغ الحساب بعد و قال كعب تصير السماوات جنانا و يصير مكان البحر النار و تبدل الأرض غيرها و روي عن أبي أيوب الأنصاري قال أتى النبي (صلى الله عليهوآلهوسلم) حبر من اليهود فقال أ رأيت إذ يقول الله تعالى في كتابه « يوم تبدل الأرض غير الأرض و السماوات » فأين الخلق عند ذلك فقال أضياف الله فلن يعجزهم ما لديه و قيل تبدل الأرض لقوم بأرض الجنة و لقوم بأرض النار و قال الحسن يحشرون على الأرض الساهرة

(١) تفسير مجمع البيان – الطبرسي٥/٢٧٤

و هي أرض غير هذه و هي أرض الآخرة و فيها تكون جهنم و تقدير الكلام و تبدل السماوات غير السماوات إلا أنه حذف لدلالة الظاهر عليه « و برزوا لله » أي يظهرون من أرض قبورهم للمحاسبة لا يسترهم شيء و جعل ذلك بروزا لله لأن حسابهم معه و إن كانت الأشياء كلها بارزة له لا يسترها عنه شيء « الواحد » الذي لا شبه له و لا نظير « القهار » المالك الذي لا يضام يقهر عباده بالموت الزؤام « و ترى المجرمين » يعني الكفار عن ابن عباس و الحسن و هو الظاهر لأنه تقدم ذكرهم « يومئذ » أي يوم القيامة « مقرنين في الأصفاد » أي مجمعين في الأغلال قرنت أيديهم بها إلى أعناقهم و قيل يقرن بعضهم إلى بعض عن الجبائي و قيل مشدودين في قرن أي حبل من الأصفاد و القيود عن أبي مسلم و قيل يقرن كل كافر مع شيطان كان يضله في غل من حديد عن ابن عباس و الحسن و يبينه قوله تعالى احشروا الذين ظلموا و أزواجهم أي قرناءهم من الشياطين و قوله و إذا النفوس زوجت « سرابيلهم » أي قميصهم « من قطران » و هو ما يطلى به الإبل شيء أسود لزج منتن يطلون به فيصير كالقميص عليهم ثم يرسل النار فيهم لتكون أسرع إليهم و أبلغ في الاشتعال و أشد في العذاب عن الحسن و الزجاج و قيل نحاس أو صفر مذاب قد انتهى حره عن ابن عباس و مجاهد و قتادة و جوز الجبائي على القراءتين أن يسربلوا سربالين أحدهما من القطران و الآخر من القطر الآني « و تغشى وجوههم النار » أي و تصيب وجوههم النار لا قطران عليها « ليجزي الله كل نفس ما كسبت » اللام تعلقت بما تقدم أخبر سبحانه أنه إنما." (١)

"و إذا قيل لهم ما ذا أنزل ربكم قالوا أسطير الأولين(٢٤) ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيمة و من أوزار الذين يضلونهم بغير علم ألا ساء ما يزرون(٢٥) قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنينهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم و أتاهم العذاب من حيث لا يشعرون(٢٦) ثم يوم القيمة يخزيهم و يقول أين شركاءى الذين كنتم تشقون فيهم قال الذين أوتوا العلم إن الخزى اليوم و السوء على الكفرين(٢٧) الذين تتوفاهم الملئكة ظالمى أنفسهم فألقوا السلم ما كنا نعمل من سوء بلى إن الله عليم بما كنتم تعملون(٢٨) فادخلوا أبوب جهنم خلدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين(٢٩)

القراءة

قرأ نافع وحده تشاقون بكسر النون و الباقون بفتحها و قرأ حمزة و خلف في الموضعين يتوفاهم بالياء و الباقون بالتاء و في الشواذ قراءة مجاهد عليهم السقف بضم السين و روي عن **أهل البيت** (عليهم السلام) فأتى بنيتهم من القواعد .

---

(١) تفسير مجمع البيان – الطبرسي٦/٨٢

الحجة

قد تقدم الوجه في قراءة نافع في سورة الحجر عند قوله « فبم تبشرون » فأما قراءة حمزة يتوفاهم بالياء فلأن الفعل مقدم و الإمالة حسنة في هذا النحو من الفعل و من قرأ بالتاء فلأن الجماعة مؤنثة كما جاء و إذ قالت الملائكة .

اللغة

قد مضى معنى الأساطير و الأوزار في سورة الأنعام و القواعد الأساس و الواحدة القاعدة و قواعد الهودج خشبات أربع معترضات في أسفله و الشقاق الخلاف في المعنى و تشاقون تكونون في جانب و المسلمون في جانب و من ثم قيل لمن خرج عن طاعة الإمام و عن جماعة المسلمين شق عصا المسلمين أي صار في جانب عنهم فلم يكن مجتمعا معهم في كلمتهم و هو مأخوذ من الشق الذي هو النصف كأنه صار في شق غير شقهم .

الإعراب

ما أنزل ما مبتدأ و ذا بمعنى الذي و المعنى ما الذي أنزل ربكم و أساطير مرفوعة على الجواب كأنهم قالوا الذي أنزل أساطير الأولين و تقديره و إذا قيل لهم هذا القول فالذي قام مقام فاعل قيل هو المصدر لا الجملة لأن الجملة نكرة و الفاعل يجوز إضماره و المضمر لا يكون قط نكرة بل هو أعرف المعارف و قوله « و من أوزار الذين يضلونهم » من زيادة على قول الأخفش أي و أوزار الذين يضلونهم و على قول سيبويه هو صفة مصدر محذوف و تقديره و أوزارا من أوزار الذين يضلونهم و ما يزرون في موضع رفع كما يرفع بعد بئس و نعم و تقديره و بئس الشيء وزرهم فما حرف موصول و يزرون صلته و ظالمي أنفسهم." (١)

"فركضا أوكد في الاستعمال لأن ركضا يدل على توكيد الفعل و تقديره يركض ركضا و على هذا يكون معناه و لا تمش في الأرض مختالا و قيل أن طولا نصب على التمييز .

المعنى

ثم قال سبحانه « و لا تقف ما ليس لك به علم » و معناه لا تقل سمعت و لم تسمع و لا رأيت و لم تر و لا علمت و لم تعلم عن ابن عباس و قتادة و قيل معناه لا تقل في قفا غيرك كلاما أي إذا مر بك فلا تغتبه عن الحسن و قيل هو شهادة الزور عن محمد بن الحنفية و الأصل أنه عام في كل قول و فعل أو

---

(١) تفسير مجمع البيان – الطبرسي٦/١٣١

عزم يكون على غير علم فكأنه سبحانه قال لا تقل إلا ما تعلم أنه مما يجوز أن يعتقد و قد استدل جماعة من أصحابنا بهذا على أن العمل بالقياس و بخبر الواحد غير جائز لأنهما لا يوجبان العلم و قد نهى الله سبحانه عن اتباع ما هو غير معلوم « إن السمع و البصر و الفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا » معناه أن السمع يسأل عما سمع و البصر عما رأى و القلب عما عزم عليه ذكر سبحانه السمع و البصر و الفؤاد و المراد أن أصحابها هم المسئولون و لذلك قال « كل أولئك » و قيل بل المعنى كل أولئك الجوارح يسأل عما فعل بها قال الوالبي عن ابن عباس يسأل الله العباد فيما استعملوها و روى علي بن إبراهيم في تفسيره عن أبيه عن الحسن بن محبوب عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر (عليه السلام) قال قال رسول الله (صلى الله عليهوآلهوسلم) لا يزول قدم عبد يوم القيامة بين يدي الله عز و جل حتى يسأله عن أربع خصال عمرك فيما أفنيته و جسدك فيما أبليته و مالك من أين كسبته و أين وضعته و عن حبنا **أهل البيت** « و لا تمش في الأرض مرحا » معناه لا تمش على وجه الأشر و البطر و الخيلاء و التكبر قال الزجاج معناه لا تمش في الأرض مختالا فخورا و قيل المرح شدة الفرح بالباطل « إنك لن تخرق الأرض و لن تبلغ الجبال طولا » هذا مثل ضربه الله تعالى قال إنك أيها الإنسان لن تشق الأرض من تحت قدمك بكبرك و لن تبلغ الجبال بتطاولك و المعنى أنك لن تبلغ مما تريد كثير مبلغ كما لا يمكنك أن تبلغ هذا فما وجه المنابزة على ما هذا سبيله مع أن الحكمة زاجرة عنه و إنما قال ذلك لأن من الناس من يمشي في الأرض بطرا يدق قدميه عليها ليري بذلك قدرته و قوته و يرفع رأسه و عنقه فبين سبحانه أنه ضعيف مهين لا يقدر أن يخرق الأرض بدق قدميه عليها حتى ينتهي إلى آخرها و إن طوله لا يبلغ طول الجبال و إن كان طويلا علم الله سبحانه عباده التواضع و المروءة و الوقار « كل ذلك » إشارة إلى جميع ما تقدم ذكره مما نهى الله سبحانه عنه في هذه الآيات « كان سيئه » أي معصيته « عند ربك مكروها » له سبحانه يكرهها و لا يريدها و لا يرضاها و على القراءة الثانية فيكون ذلك إشارة إلى جميع ما أمر به من المحسنات و نهى عنه من المقبحات أي كان سيء ما سبق من هذه." (١)

"بريء فهو للذي أشرك) أورده مسلم في الصحيح و روي عن عبادة بن الصامت و شداد بن أوس قالا سمعنا رسول الله (صلى الله عليهوآلهوسلم) يقول من صلى صلاة يرائي بها فقد أشرك و من صام صوما يرائي به فقد أشرك ثم قرأ هذه الآية و روي أن أبا الحسن الرضا (عليه السلام) دخل يوما على المأمون فرآه يتوضأ للصلاة و الغلام يصب على يده الماء فقال لا تشرك بعبادة ربك أحدا فصرف المأمون الغلام و تولى

(١) تفسير مجمع البيان - الطبرسي٦/٢٢٤

إتمام وضوئه بنفسه و قيل إن هذه الآية آخر آية نزلت من القرآن و روى الشيخ أبو جعفر بن بابويه بإسناده عن عيسى بن عبد الله عن أبيه عن جده عن علي (عليه السلام) قال ما من عبد يقرأ « قل إنما أنا بشر مثلكم » إلى آخره إلا كان له نورا في مضجعه إلى بيت الله الحرام فإن كان من **أهل البيت** الحرام كان له نورا إلى بيت المقدس و قال أبو عبد الله (عليه السلام) ما من أحد يقرأ آخر الكهف عند النوم إلا يتيقظ في الساعة التي يريدها .

النظم

وجه اتصال الآية الثانية و هي قوله « قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي » بما قبلها أنه لما تقدم الأمر و النهي و الوعد و الوعيد و عقب ذلك سبحانه ببيان أن مقدوراته لا تتناهى و أنه قادر على ما يشاء في أفعاله و أوامره على حسب المصالح فمن الواجب على المكلف أن يمتثل أمره و نهيه و يثق بوعده و يتقي وعيده .." [1]

"أي جاءت به و يروي جاء قال الكسائي : تميم تقول ما أجاءك إلى هذا و ما أمشاك إليه و من أمثالهم شر أجاءك إلى مخة عرقوب و تميم تقول أمشاك و لسري النهر لأنه يسري بجريانه قال لبيد :

فتوسطا عرض السري فصدعا

مسجورة متجاورا قلامها و يقال قررت به عينا أقر قرورا فهي لغة قريش و أهل نجد يقولون قررت به بفتح العين أقر قرارا كما يقولون قررت بالمكان بالفتح و الجني بمعنى المجني من جنيت الثمرة و أجنيتها إذا قطعتها و قال ابن أخت جذيمة :

هذا جناي و خياره فيه

إذ كل جان يده إلى فيه و في معناه قول الكميت يمدح **أهل البيت** (عليهم السلام) :

خيارها يجتنون فيه إذ الجانون

في ذي أكفهم أربوا قال أبو مسلم : الفري مأخوذ من فري الأديم إذا قطعه على وجه الإصلاح ثم يستعمل في الكذب و قال الزجاج : يقال فلان يفري الفري إذا كان يعمل عملا يبالغ فيه قال الراجز :

قد كنت تفرين به الفريا .

الإعراب

« عينا » منصوب على التمييز « فإما ترين » أصله ترأين إلا إن الاستعمال بغير همز و الياء فيه ضمير

---

(١) تفسير مجمع البيان - الطبرسي٦/٣٥٤

المؤنث و إنما حركت لالتقاء الساكنين و هما الياء و النون الأولى من المشددة كما تقول للمرأة أرضين زيدا و قوله « من كان في المهد صبيا » كان هنا بمعنى الحدوث و الوقوع و التقدير كيف نكلم من وجد في المهد صبيا نصب على الحال من كان و مثل كان." [١]

"أدى الفرائض « ثم اهتدى » أي ثم لزم الإيمان إلى أن يموت و استمر عليه و قيل ثم لم يشك في إيمانه عن ابن عباس و قيل ثم أخذ بسنة النبي (صلى الله عليهوآلهوسلم) و لم يسلك سبيل البدعة عن ابن عباس أيضا و الربيع بن أنس و قال أبو جعفر الباقر (عليه السلام) ثم اهتدى إلى ولايتنا **أهل البيت** (عليهم السلام) فو الله لو أن رجلا عبد الله عمره ما بين الركن و المقام ثم مات و لم يجيء بولايتنا لأكبه الله في النار على وجهه رواه الحاكم أبو القاسم الحسكاني بإسناده و أورده العياشي في تفسيره من عدة طرق « و ما أعجلك عن قومك يا موسى » قال ابن إسحاق كانت المواعدة أن يوافي الميعاد هو و قومه و قيل مع جماعته من وجوه قومه و هو متصل بقوله « واعدناكم جانب الطور الأيمن » فتعجل موسى من بينهم شوقا إلى ربه و خلفهم ليلحقوا به فقيل له ما أعجلك عن قومك يا موسى أي بأي سبب خلفت قومك و سبقتهم و جئت وحدك « قال » موسى في الجواب « هم أولاء على أثري » أي هؤلاء من ورائي يدركونني عن قريب و قيل معناه هم على ديني و منهاجي عن الحسن و روي عنه أيضا أنه قال هم ينتظرون من بعدي ما الذي آتيهم به و ليس يريد أنهم يتبعونه « و عجلت إليك رب لترضى » أي سبقتهم إليك حرصا على تعجيل رضاك أي لازداد رضا إلى رضاك « قال » الله تعالى « فإنا قد فتنا قومك » أي امتحناهم و شددنا عليهم التكليف بما حدث فيهم من أمر العجل فألزمناهم عند ذلك النظر ليعلموا أنه ليس بإله كما قال سبحانه « ألم أ حسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا و هم لا يفتنون » « من بعدك » أي من بعد انطلاقك « و أضلهم السامري » أي دعاهم إلى الضلال فقبلوا منه و ضلوا عند دعائه فأضاف الضلال إلى السامري و الفتنة إلى نفسه ليدل سبحانه على أن الفتنة غير الضلال و قيل إن معنى فتنا قومك عاملناهم معاملة المختبر المبتلي ليظهر لغيرنا المخلص منهم من المنافق فيوالي المخلص و يعادي المنافق « فرجع موسى إلى قومه غضبان أسفا » أي رجع موسى من الميقات إلى بني إسرائيل شديد الغضب حزينا عن ابن عباس و قيل جزعا عن مجاهد و قيل متحسرا متلهفا على ما فاته لأنه خشي أن لا يمكنه تدارك أمر قومه عن الجبائي « قال يا قوم أ لم يعدكم ربكم وعدا حسنا » أي صدقا لإيتاء الكتاب و هو التوراة لتعلموا ما فيه و تعلموا به فتستحقوا الثواب عن الجبائي و قيل الوعد الحسن هو ما وعدهم به من النجاة من فرعون و

---

(١) تفسير مجمع البيان - الطبرسي٦/٣٧١

مجيئهم إلى جانب الطور و وعده بالمغفرة لمن تاب و قيل هو ما وعدهم به في الآخرة على التمسك بدينه في الدنيا عن الحسن « أ فطال عليكم العهد » أي مدة مفارقتي إياكم « أم أردتم أن يحل عليكم » أي يجب عليكم « غضب من ربكم » بعبادتكم العجل و المعنى أم أردتم أن تصنعوا صنعا يكون سببا لغضب ربكم « فأخلفتم موعدي » أي ما وعدتموه لي من حسن الخلافة بعدي و يبين ذلك قوله بئسما خلفتموني من بعدي و قيل إن إخلافهم موعده أنه." (١)

"كان أزهر اللون أي نير اللون و الزهراوان : البقرة و آل عمران و يوم الجمعة يوم أزهر .

الإعراب

قال الزجاج زهرة منصوب بمعنى متعنا لأن معناه جعلنا لهم الحياة الدنيا زهرة لنفتنهم فيه أي لنجعل ذلك فتنة لهم و يجوز أن يكون حالا من الهاء في به و يجوز أن يكون حالا من « ما متعنا به » .

« و لو أنا أهلكناهم » تقديره و لو ثبت إهلاكهم لأن لو يقتضي الفعل فيكون « أنا أهلكناهم » في موضع رفع بأنه فاعل الفعل المقدر و « من أصحاب الصراط السوي » تعلق بقوله « فستعلمون » و هو مبتدأ و خبر و كذلك « من اهتدى » .

النزول

قال أبو رافع نزل برسول الله (صلى الله عليهوآلهوسلم) ضيف فبعثني إلى يهودي فقال قل إن رسول الله يقول بعني كذا و كذا من الدقيق أو أسلفني إلى هلال رجب فأتيته فقلت له فقال و الله لا أبعه و لا أسلفه إلا برهن فأتيت رسول الله (صلى الله عليهوآلهوسلم) فأخبرته فقال و الله لو باعني أو أسلفني لقضيته و إني لأمين في السماء و أمين في الأرض اذهب بدرعي الحديد إليه فنزلت هذه الآية تسلية له عن الدنيا .

المعنى

« و لا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم » و قد فسرناه في سورة الحجر و قال أبي بن كعب في هذه الآية من لم يتعز بعزاء الله تقطعت نفسه حسرات على الدنيا و من يتبع بصره ما في أيدي الناس يطل حزنه و لا يشفي غيظه و من لم ير لله عليه نعمة إلا في مطعمه و مشربه نقص علمه و دنا عذابه و روى أصحابنا عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال لما نزلت هذه الآية استوى رسول الله (صلى الله عليهوآلهوسلم) جالسا ثم قال هذه الكلمات التي تقدمت « زهرة الحياة الدنيا » أي بهجتها و نضارتها و ما يروق الناظر عند الرؤية و قال ابن عباس و قتادة زينة الحياة الدنيا « لنفتنهم فيه » أي لنعاملهم معاملة

---

(١) تفسير مجمع البيان – الطبرسي٧/٣٨

المختبر بشدة التعبد في العمل بالحق في هذه الأمور و أداء الحقوق عنه و قيل لنفتنهم أي لنشدد عليهم التعبد بأن نكلفهم متابعتك و الطاعة لك مع كثرة أموالهم و قلة مالك و قيل معناه لنعذبهم به لأن الله قد يوسع الرزق على بعض أهل الدنيا تعذيبا له و لذلك قال (عليه السلام) لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافرا شربة ماء « و رزق ربك خير » أي و رزق ربك الذي وعدك به في الآخرة خير مما متعنا به هؤلاء في الدنيا « و أبقى » أي أدوم « و أمر أهلك بالصلاة » معناه و أمر يا محمد أهل بيتك و أهل دينك بالصلاة روى أبو سعيد الخدري قال لما نزلت هذه الآية كان رسول الله (صلى الله عليهوآلهوسلم) يأتي باب فاطمة و علي تسعة أشهر عند كل صلاة فيقول الصلاة رحمكم الله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس **أهل البيت** و يطهركم تطهيرا و رواه ابن عقدة بإسناده من طرق كثيرة عن **أهل البيت** (عليهم السلام) و عن غيرهم مثل أبي برزة." (١)

"« ثم أخذتهم » أي بالعذاب « فكيف كان نكير » استفهام معناه التقرير أي فكيف أنكرت عليهم ما فعلوا من التكذيب فأبدلتهم بالنعمة نقمة و بالحياة هلاكا قال الزجاج المعنى ثم أخذتهم فأنكرت أبلغ إنكار ثم ذكر سبحانه كيف عذب المكذبين فقال « فكأين من قرية أهلكناها » أي و كم من قرى أهلكناها و أخذناها و الاختيار التاء و ذلك لقوله « فأمليت » « و هي ظالمة » أي و أهلها ظالمون بالتكذيب و الكفر « فهي خاوية على عروشها » أي خالية من أهلها ساقطة على سقوفها « و بئر معطلة » عطف على قوله « من قرية » أي و كم من بئر بار أهلها و غار ماؤها و تعطلت من دلائها فلا مستقي منها و لا وارد لها « و قصر مشيد » أي و كم من قصر رفيع مجصص تداعى الخراب بهلاك أهله فلم يبق فيه داع و لا مجيب و أصحاب الآبار ملوك البدو و أصحاب القصور ملوك الحضر و في تفسير **أهل البيت** (عليهم السلام) في قوله « و بئر معطلة » أن المعنى و كم من عالم لا يرجع إليه و لا ينتفع بعلمه و قال الضحاك هذه البئر كانت بحضرموت في بلدة يقال لها حاضور أنزل بها أربعة آلاف ممن آمن بصالح و معهم صالح فلما حضروا مات صالح فسمي المكان حضرموت ثم إنهم كثروا فكفروا و عبدوا الأصنام فبعث الله إليهم نبيا يقال له حنظلة فقتلوه في السوق فأهلكهم الله فماتوا عن آخرهم و عطلت بئرهم و خرب قصر ملكهم.." (٢)

(١) تفسير مجمع البيان - الطبرسي٧/٥٨

(٢) تفسير مجمع البيان - الطبرسي٧/١٤٠

"للطيبين من الرجال و الطيبون من الرجال للطيبات من الحسنات عن ابن زيد (و الثالث) الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال و الخبيثون من الرجال للخبيثات من النساء و الطيبات من النساء للطيبين من الرجال و الطيبون من الرجال للطيبات من النساء عن أبي مسلم و الجبائي و هو المروي عن أبي جعفر و أبي عبد الله (عليه السلام) قالا هي مثل قوله « الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة » الآية أن أناسا هموا أن يتزوجوا منهن فنهاهم الله عن ذلك و كره ذلك لهم « أولئك مبرءون مما يقولون » أي الطيبون مبرءون أي منزهون من الكلام الخبيث عن مجاهد و قال الفراء يعني به عائشة و صفوان بن المعطل و هو بمنزلة قوله تعالى « فإن كان له إخوة » و الأم تحجب بالأخوين فجاء على تغليب لفظ الجمع « لهم مغفرة » أي لهؤلاء الطيبين من الرجال و النساء مغفرة من الله لذنوبهم « و رزق كريم » أي عطية من الله كريمة في الجنة ثم خاطب سبحانه المؤمنين فقال « يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا » أي حتى تستأذنوا عن ابن مسعود و ابن عباس قال أخطأ الكاتب فيه و كان يقرأ حتى تستأذنوا و قيل تستأنسوا بالتنحنح و الكلام الذي يقوم مقام الاستيذان و قد بين الله تعالى ذلك في قوله « و إذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا » عن مجاهد و السدي و قيل معناه حتى تستعلموا و تتعرفوا عن أبي أيوب الأنصاري قال قلنا يا رسول الله ما الاستيناس قال يتكلم الرجل بالتسبيحة و التحميدة و التكبيرة و يتنحنح على أهل البيت و عن سهل بن سعد قال أطلع رجل في حجرة من حجر رسول الله فقال رسول الله (صلى الله عليهوآلهوسلم) و معه مدرى يحك به رأسه لو أعلم أنك تنظر لطعنت به في عينيك إنما الاستيذان من النظر و روي أن رجلا قال للنبي (صلى الله عليهوآلهوسلم) أستأذن على أمي فقال نعم قال أنها ليس لها خادم غيري أ فاستأذن عليها كلما دخلت قال أ تحب أن تراها عريانة قال الرجل لا قال فاستأذن عليها « و تسلموا على أهلها » قيل إن فيه تقديما و تأخيرا تقديره حتى تسلموا على أهلها و تستأنسوا و تستأذنوا فإن أذن لكم فادخلوا و قيل معناه حتى تستأنسوا بأن تسلموا فقد روي أن رجلا استأذن على رسول الله (صلى الله عليهوآلهوسلم) فتنحنح فقال رسول الله (صلى الله عليهوآلهوسلم) لامرأة يقال لها روضة قومي إلى هذا فعلميه و قولي له قل السلام عليكم أ أدخل فسمعها الرجل فقالها فقال أدخل « ذلكم خير لكم » معناه ذلك الدخول بالاستيذان خير لكم « لعلكم تذكرون » مواعظ الله و أوامره و نواهيه فتتبعونها « فإن لم تجدوا » معناه فإن لم تعلموا « فيها أحدا » يأذن لكم في الدخول « فلا تدخلوها » لأنه ربما كان فيها ما." [١]

---

(١) تفسير مجمع البيان – الطبرسي٧/٢١٢

"قلب المؤمن فكما أن هذا المصباح يستضاء به و هو كما هو لا ينقص فكذلك القرآن يهتدى به و يعمل به فالمصباح هو القرآن و الزجاجة قلب المؤمن و المشكاة لسانه و فمه و الشجرة المباركة شجرة الوحي « يكاد زيتها يضيء » يكاد حجج القرآن تتضح و إن لم تقرأ و قيل يكاد حجج الله على خلقه تضيء لمن تفكر فيها و تدبرها و لو لم ينزل القرآن « نور على نور » يعني أن القرآن نور مع سائر الأدلة قبله فازدادوا به نورا على نور عن الحسن و ابن زيد و على هذا فيجوز أن يكون المراد ترتب الأدلة فإن الدلائل يترتب بعضها على بعض و لا يكاد العاقل يستفيد منها إلا بمراعاة الترتيب فمن ذهب عن الترتيب فقد ذهب عن طريق الاستفادة و قال مجاهد ضوء نور السراج على ضوء الزيت على ضوء الزجاجة « يهدي الله لنوره من يشاء » أي يهدي الله لدينه و إيمانه من يشاء بأن يفعل له لطفا يختار عنده الإيمان إذا علم أن له لطفا و قيل معناه يهدي الله لنبوته و ولايته من يشاء ممن يعلم أنه يصلح لذلك و يضرب الله الأمثال للناس تقريبا إلى الأفهام و تسهيلا لدرك المرام « و الله بكل شيء عليم » فيضع الأشياء و مواضعها « في بيوت أذن الله أن ترفع » معناه هذه المشكاة في بيوت هذه صفتها و هي المساجد في قول ابن عباس و الحسن و مجاهد و الجبائي و يعضده قول النبي (صلى الله عليهوآلهوسلم) المساجد بيوت الله في الأرض و هي تضيء لأهل السماء كما تضيء النجوم لأهل الأرض ثم قيل إنها أربع مساجد لم يبنها إلا نبي الكعبة بناها إبراهيم و إسماعيل و مسجد بيت المقدس بناه سليمان و مسجد المدينة و مسجد قبا بناهما رسول الله (صلى الله عليهوآلهوسلم) و قيل هي بيوت الأنبياء و روي ذلك مرفوعا أنه سئل النبي (صلى الله عليهوآلهوسلم) لما قرأ الآية أي بيوت هذه فقال بيوت الأنبياء فقام أبو بكر فقال يا رسول الله هذا البيت منها يعني بيت علي و فاطمة قال نعم من أفاضلها و يعضد هذا القول قوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا و قوله و رحمة الله و بركاته عليكم أهل البيت فالإذن برفع بيوت الأنبياء و الأوصياء مطلق و المراد بالرفع التعظيم و رفع القدر من الأرجاس و التطهير من المعاصي و الأدناس و قيل المراد برفعها رفع الحوائج فيها إلى الله تعالى « و يذكر فيها اسمه » أي يتلى فيها كتابه عن ابن عباس و قيل تذكر فيها أسماؤه الحسنى « يسبح له فيها بالغدو و الآصال » أي يصلي له فيها بالبكور و العشايا عن ابن عباس و الحسن و الضحاك و قال ابن عباس كل تسبيح في القرآن صلاة و قيل المراد بالتسبيح تنزيه الله تعالى عما لا يجوز عليه و وصفه بالصفات التي يستحقها لذاته و أفعاله التي كلها حكمة و صواب ثم بين سبحانه المسبح فقال « رجال لا تلهيهم » أي لا تشغلهم و لا تصرفهم « تجارة و لا بيع عن ذكر الله و أقام الصلاة » أي إقامة الصلاة حذف الهاء لأنها عوض عن الواو في أقوام فلما أضافه

صار المضاف إليه عوضا عن الهاء و روي عن أبي جعفر (عليه السلام) و أبي عبد الله (عليه السلام) أنهم قوم إذا." (١)

"و برسوله و بجميع ما يجب التصديق به « و عملوا الصالحات » أي الطاعات الخالصة لله « ليستخلفنهم في الأرض » أي ليجعلنهم يخلفون من قبلهم و المعنى ليورثنهم أرض الكافر من العرب و العجم فيجعلهم سكانها و ملوكها « كما استخلف الذين من قبلهم » قال مقاتل يعني بني إسرائيل إذ أهلك الله الجبابرة بمصر و أورثهم أرضهم و ديارهم و أموالهم و عن أبي بن كعب قال لما قدم رسول الله (صلى الله عليهوآلهوسلم) و أصحابه المدينة و آوتهم الأنصار رمتهم العرب عن قوس واحدة و كانوا لا يبيتون إلا مع السلاح و لا يصبحون إلا فيه فقالوا ترون أنا نعيش حتى نبيت آمنين مطمئنين لا نخاف إلا الله فنزلت هذه الآية و عن المقداد بن الأسود عن رسول الله (صلى الله عليهوآلهوسلم) أنه قال لا يبقى على الأرض بيت مدر و لا وبر إلا أدخله الله تعالى كلمة الإسلام بعز عزيز أو ذل ذليل إما أن يعزهم الله فيجعلهم من أهلها و إما أن يذلهم فيدينون لها و قيل إنه أراد بالأرض أرض مكة لأن المهاجرين كانوا يسألون ذلك « و ليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم » يعني دين الإسلام الذي أمرهم أن يدينوا به و تمكينه أن يظهره على الدين كله كما قال زويت لي الأرض فأريت مشارقها و مغاربها و سيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها و قيل تمكينه بإعزاز أهله و إذلال أهل الشرك و تمكين أهله من إظهاره بعد أن كانوا يخفونه « و ليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا » أي و ليصيرنهم بعد أن كانوا خائفين بمكة آمنين بقوة الإسلام و انبساطه قال مقاتل و قد فعل الله ذلك بهم و بمن كان بعدهم من هذه الأمة مكن لهم في الأرض و أبدلهم أمنا من بعد خوف و بسط لهم في الأرض فقد أنجز وعده لهم و قيل معناه و ليبدلنهم من بعد خوفهم في الدنيا أمنا في الآخرة و يعضده ما روي عن النبي (صلى الله عليهوآلهوسلم) أنه قال حاكيا عن الله سبحانه إني لا أجمع على عبد واحد بين خوفين و لا بين أمنين إن خافني في الدنيا آمنته في الآخرة و إن أمنني في الدنيا خوفته في الآخرة « يعبدونني لا يشركون بي شيئا » هذا استئناف كلام في الثناء عليهم و معناه لا يخافون غيري عن ابن عباس و قيل معناه لا يراءون بعبادتي أحدا و في الآية دلالة على صحة نبوة نبينا (صلى الله عليهوآلهوسلم) من جهة الإخبار عن غيب لا يعلم إلا بوحي من الله عز و جل « و من كفر بعد ذلك » أي بعد هذه النعم « فأولئك هم الفاسقون » ذكر الفسق بعد الكفر مع أن الكفر أعظم من الفسق لأن الفسق في كل شيء هو الخروج إلى أكثره فالمعنى أولئك هم الخارجون إلى أقبح وجوه الكفر و أفحشه و قيل معناه من جحد

---

(١) تفسير مجمع البيان – الطبرسي٢٢٦/٧

تلك النعمة بعد إنعام الله تعالى بها فأولئك هم العاصون لله عن ابن عباس و اختلف في الآية فقيل إنها واردة في أصحاب النبي (صلى الله عليهوآلهوسلم) و قيل هي عامة في أمة محمد (صلى الله عليهوآلهوسلم) عن ابن عباس و مجاهد و المروي عن **أهل البيت** (عليهم السلام) أنها في المهدي من آل محمد (صلى الله عليهوآلهوسلم) و روي العياشي بإسناده عن علي بن الحسين (عليهماالسلام) أنه قرأ الآية و قال هم و الله شيعتنا **أهل البيت** يفعل الله ذلك بهم على يدي." [1]

"عن ابن عباس و الأولى حمله على العموم و قال إبراهيم إذا دخلت بيتا ليس فيه أحد فقل السلام علينا و على عباد الله الصالحين و قال أبو عبد الله (عليه السلام) هو تسليم الرجل على **أهل البيت** حين يدخل ثم يردون عليه فهو سلامكم على أنفسكم « تحية من عند الله » أي هذه تحية حاكم الله بها عن ابن عباس و قيل معناه علمها الله و شرعها لكم فإنهم كانوا يقولون عم صباحا ثم وصف التحية فقال « مباركة طيبة » أي إذا ألزمتموها كثر خيركم و طاب أجركم و قيل مؤبدة حسنة جميلة عن ابن عباس و قيل إنما قال مباركة لأن معنى السلام عليكم حفظكم الله و سلمكم الله من الآفات فهو دعاء بالسلامة من آفات الدنيا و الآخرة و قال طيبة لما فيها من طيب العيش بالتواصل و قيل لما فيها من الأجر الجزيل و الثواب العظيم « كذلك » أي كما بين لكم هذه الأحكام و الآداب « يبين الله لكم الآيات » أي الأدلة على جميع ما يتعبدكم بـه « لعلكم تعقلون » أي لتعقلوا معالم دينكم .

إنما المؤمنون الذين ءامنوا بالله و رسوله و إذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستئذنوه إن الذين يستئذنونك أولئك الذين يؤمنون بالله و رسوله فإذا استئذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم و استغفر لهم الله إن الله غفور رحيم(٦٢) لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم(٦٣) ألا إن لله ما فى السموت و الأرض قد يعلم ما أنتم عليه و يوم يرجعون إليه فينبئهم بما عملوا و الله بكل شيء عليم(٦٤)

اللغة

التسلل الخروج في خفية يقال تسلل فلان من بين أصحابه إذا خرج من." [2]

---

(١) تفسير مجمع البيان – الطبرسي٧/٢٣٨

(٢) تفسير مجمع البيان – الطبرسي٧/٢٤٦

"و من تاب و عمل صلحا فإنه يتوب إلى الله متابا(٧١) و الذين لا يشهدون الزور و إذا مروا باللغو مروا كراما(٧٢) و الذين إذا ذكروا بئايت ربهم لم يخروا عليها صما و عميانا(٧٣) و الذين يقولون ربنا هب لنا من أزوجنا و ذريتنا قرة أعين و اجعلنا للمتقين إماما(٧٤) أولئك يجزون الغرفة بما صبروا و يلقون فيها تحية و سلما(٧٥) خلدين فيها حسنت مستقرا و مقاما(٧٦) قل ما يعبؤا بكم ربى لو لا دعاؤكم فقد كذبتم فسوف يكون لزاما(٧٧)

القراءة

قرأ أبو عمرو و أهل الكوفة غير حفص و ذريتنا و الباقون « ذرياتنا » على الجمع و قرأ يلقون بفتح الياء و التخفيف أهل الكوفة غير حفص و الباقون » يلقون » بضم الياء و التشديد و في قراءة أهل البيت (عليهم السلام) و اجعل لنا من المتقين إماما و القراءة المشهورة « و اجعلنا للمتقين إماما » و في قراءة ابن عباس و ابن الزبير فقد كذب الكافرون .

الحجة

قال أبو علي الذرية تكون واحدة و تكون جمعا فمن قرأ و ذريتنا على الإفراد فإنه أراد به الجمع فاستغنى عن جمعه لما كان جمعا و من جمع فكما يجمع هذه الأسماء التي تدل على الجمع نحو قوم و أقوام و جاء في الحديث صواحبات يوسف و حجة من قرأ « و يلقون » قوله و لقاهم نضرة و سرورا و حجة من خفف فسوف يلقون غيا و من قرأ فقد كذب الكافرون ترك لفظ الحضور إلى الغيبة أ لا ترى أن قبله « قل ما يعبؤ بكم ربي لو لا دعاؤكم » .

اللغة

القرة مصدر يقال قرت عينه قرة و يكون من القرور و هو برد العين عند السرور و يكون أيضا من استقرارها عند السرور و قوله إماما مصدر من أم فلان فلانا إماما كما قيل قام قياما و صام صياما و لذلك وحده هنا من جمع إماما فقال أئمة فلأنه قد كثر في معنى الصفة و قيل إنه إنما وحد لأنه جاء على الجواب كقول القائل من أميركم فيقول المجيب هؤلاء أميرنا قال الشاعر .

يا عاذلاتي لا تردن ملامتي

إن العواذل لسن لي بأمير و قيل إنما وحد لأن المعنى و اجعل كل واحد منا إماما فأجمل فالمعنى معنى التفصيل و قال الزجاج تأويل « ما يعبؤ بكم » أي وزن يكون لكم عنده كما يقال ما عبأت بفلان أي ما

كان له عندي وزن و لا قدر و أصل العبء في اللغة الثقل و قيل أصله من تهيئة الشيء يقال عبئت الطيب أعبؤ عبا إذا هيأته قال الشاعر يصف أسدا." (١)

"بمعنى عالم إلا أن في عليم مبالغة فهو مثل سامع و سميع لأن في قولنا عالم يفيد أن له معلوما كما أن قولنا سامع يفيد أن له مسموعا و إذا وصفناه بأنه عليم أفاد أنه متى يصح معلوم فهو عالم به كما أن سميعا يفيد أنه متى وجد مسموع فلا بد أن يكون سامعا له « إذ قال موسى لأهله » قال الزجاج العامل في إذ اذكر أي اذكر في قصة موسى إذ قال لأهله أي امرأته و هي بنت شعيب « إني آنست » أي أبصرت و رأيت « نارا » و منه اشتقاق الإنس لأنهم مرئيون و قيل آنست أي أحسست بالشيء من جهة يؤنس بها و ما آنست به فقد أحسست به مع سكون نفسك إليه « س آتيكم منها بخبر » معناه فالزموا مكانكم لعلي آتيكم من هذه النار بخبر الطريق و أهتدي بها إلى الطريق لأنه كان أضل الطريق « أو آتيكم بشهاب قبس » أي بشعلة نار و الشهاب نور كالعمود من النار و كل نور يمتد مثل العمود يسمى شهابا و إنما قال لامرأته « آتيكم » على لفظ خطاب الجمع لأنه أقامه مقام الجماعة في الأنس بها و السكون إليها في الأمكنة الموحشة « لعلكم تصطلون » أي لكي تستدفئوا بها و ذلك لأنهم كانوا قد أصابهم البرد و كانوا شاتين عن الحسن و قتادة « فلما جاءها » أي جاء موسى إلى النار يعني التي ظن أنها نار و هي نور « نودي أن بورك من في النار و من حولها » قال وهب لما رأى موسى النار وقف قريبا منها فرآها تخرج من فرع شجرة خضراء شديدة الخضرة لا تزداد النار إلا اشتعالا و لا تزداد الشجرة إلا خضرة و حسنا فلم تكن النار بحرارتها تحرق الشجرة و لا الشجرة برطوبتها تطفىء النار فعجب منها و أهوى إليها بضغث في يده ليقتبس منها فمالت إليها فخافها فتأخر عنها ثم لم تزل تطمعه و يطمع فيها إلى أن نودي و المراد به نداء الوحي « أن بورك من في النار و من حولها » أي بورك فيمن في النار و هم الملائكة و فيمن حولها يعني موسى و ذلك أن النور الذي رأى موسى كان فيه ملائكة لهم زجل بالتقديس و التسبيح و من حولها هو موسى لأنه كان بالقرب منها و لم يكن فيها فكأنه قال بارك الله على من في النار و عليك يا موسى و مخرجه الدعاء و المراد الخبر قال الكسائي تقول العرب باركه الله و بارك عليه و بارك فيه و قيل بورك من في النار معناه من في النار سلطانه و قدرته و برهانه فالبركة ترجع إلى اسم الله و تأويله تبارك من نور هذا النور و من حولها يعني موسى و الملائكة و هذا معنى قول ابن عباس و الحسن و سعيد بن جبير و قيل معناه بورك من في طلب النار و هو موسى (عليه السلام) فحذف المضاف و من حولها الملائكة أي

---

(١) تفسير مجمع البيان – الطبرسي٧/٢٨١

دامت البركة لموسى و الملائكة و هذا تحية من الله سبحانه لموسى (عليه السلام) بالبركة كما حيا إبراهيم (عليه السلام) بالبركة على ألسنة الملائكة حين دخلوا عليه فقالوا رحمة الله و بركاته عليكم **أهل البيت** ثم نزه سبحانه نفسه فقال « سبحان الله رب العالمين » أي تنزيها له عما لا يليق بصفاته تعالى عن أن يكون جسما يحتاج إلى جهة أو." (١)

"على حين عاتبت المشيب على الصبا

و قلت ألما تصح و الشيب وازع و قال آخر :

أ لم تزع الهوى إذ لم تواتي

بلى و سلوت عن طلب الفتاة و الحطم الكسر و منه الحطمة من أسماء جهنم و الحطام ما تحطم و الإيزاع الإلهام و فلان موزع بكذا أي مولع به قال الزجاج أوزعني تأويله في اللغة كفني عن الأشياء إلا عن شكر نعمتك و كفني عما يباعد منك .

الإعراب

لا يحطمنكم في موضع جزم لأنه جواب الأمر قال الزجاج ضاحكا حال مؤكدة لأن تبسم في معنى ضحك و قال بعض المتأخرين يجوز أن يكون حالا بعد الفراغ من الفعل لأن التبسم دون الضحك فكأنه تبسم أولا ثم آل أمره إلى الضحك .

المعنى

ثم عطف سبحانه على قصة موسى (عليه السلام) قصة داود و سليمان (عليهماالسلام) فقال سبحانه « و لقد آتينا داود و سليمان علما » أي علما بالقضاء بين الخلق و بكلام الطير و الدواب عن ابن عباس « و قالا الحمد لله الذي فضلنا على كثير من عباده المؤمنين » أي اختارنا من بين الخلق بأن جعلنا أنبياء و بالمعجزة و الملك و العلم الذي أتاناه و بإلانة الحديد و تسخير الشياطين و الجن و الإنس و إنما نكر قوله « علما » ليدل على أنه أراد علما احتاجا إليه مما ينبىء عن صدقهما في دعوى الرسالة « و ورث سليمان داود » في هذا دلالة على أن الأنبياء يورثون المال كتوريث غيرهم و هو قول الحسن و قيل معناه أنه ورثه علمه و نبوته و ملكه دون سائر أولاده و معنى الميراث هنا أنه قام مقامه في ذلك فأطلق عليه اسم الإرث كما أطلق على الجنة اسم الإرث عن الجبائي و هذا خلاف للظاهر و الصحيح عند **أهل البيت** (عليهم السلام) هو الأول « و قال » سليمان مظهرا لنعمة الله و شاكرا إياها « يا أيها الناس علمنا منطق

---

(١) تفسير مجمع البيان – الطبرسي٧/٣٢٩

الطير » أهل العربية يقولون أنه لا يطلق النطق على غير بني آدم و إنما يقال الصوت لأن النطق عبارة عن الكلام و لا كلام للطير إلا أنه لما فهم سليمان معنى صوت الطير سماه منطقا مجازا و قيل أنه أراد حقيقة المنطق لأن من الطير ما له كلام مهجى كالطيطوى قال المبرد العرب تسمي كل مبين عن نفسه ناطقا و متكلما قال رؤبة :." (١)

"يصل الخير إليه و المعنى قوله فله من تلك الحسنة خير يوم القيامة و هو الثواب و الأمان من العقاب فخير هاهنا اسم و ليس بالذي هو بمعنى الأفضل و هو المروي عن الحسن و عكرمة و ابن جريج قال عكرمة فأما أن تكون خيرا من الإيمان فلا فليس شيء خيرا من لا إله إلا الله و قيل معناه فله أفضل منها في معظم النفع لأنه يعطي بالحسنة عشرا عن زيد بن أسلم و محمد بن كعب و ابن زيد و قيل لأن الثواب فعل الله تعالى و الطاعة فعل العبد و قيل هو رضوان الله و رضوان من الله أكبر « و هم من فزع يومئذ آمنون » قال الكلبي إذا أطبقت النار على أهلها فزعوا فزعة لم يفزعوا مثلها و أهل الجنة آمنون من ذلك الفزع « و من جاء بالسيئة » أي بالمعصية الكثيرة التي هي الكفر و الشرك عن ابن عباس و أكثر المفسرين « فكبت وجوههم في النار » أي ألقوا في النار منكوسين « هل تجزون إلا ما كنتم تعملون » يعني أن هذا الجزاء فعلكم و ليس بظلم حدثنا السيد أبو الحمد مهدي بن نزار الحسيني قال حدثنا الحاكم أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله الحسكاني قال أخبرنا محمد بن عبد الله بن أحمد قال أخبرنا محمد بن أحمد بن محمد قال حدثنا عبد العزيز بن يحيى بن أحمد قال حدثني محمد بن عبد الرحمن بن الفضل قال حدثني جعفر بن الحسين قال حدثني محمد بن زيد بن علي (ع) عن أبيه قال سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول دخل أبو عبد الله الجدلي على أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال له يا أبا عبد الله أ لا أخبرك بقول الله تعالى « من جاء بالحسنة » إلى قوله « تعلمون » قال بلى جعلت فداك قال الحسنة حبنا **أهل البيت** و السيئة بغضنا و حدثنا السيد أبو الحمد قال حدثنا الحاكم أبو القاسم قال أخبرنا أبو عثمان سعيد بن محمد الحميري قال حدثنا جدي أحمد بن إسحاق الحميري قال حدثنا جعفر بن سهل قال حدثنا أبو زرعة عثمان بن عبد الله القرشي قال حدثنا ابن لهيعة عن ابن الزبير عن جابر قال قال رسول الله (صلى الله عليهوآلهوسلم) يا علي لو أن أمتي صاموا حتى صاروا كالأوتاد و صلوا حتى صاروا كالحنايا ثم أبغضوك لأكبهم الله على مناخرهم في النار ثم قال سبحانه لنبيه (صلى الله عليهوآلهوسلم) قل لهم « إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة » يعني مكة عن ابن عباس و قال أبو العالية هي مني « الذي حرمها

---

(١) تفسير مجمع البيان – الطبرسي٧/٣٣٣

» أي جعلها حرما آمنا يحرم فيها ما يحل في غيرها لا ينفر صيدها و لا يختلى خلاها و لا يقتص فيها « و له كل شيء » أي و هو مالك كل شيء مما أحله و حرمه فيحرم ما شاء و يحل ما شاء « و أمرت أن أكون من المسلمين » أي من المخلصين لله بالتوحيد « و أن أتلو القرآن » عليكم يا أهل مكة و أدعوكم إلى ما فيه « فمن اهتدى » إلى الحق و العمل بما فيه « فإنما يهتدي لنفسه » لأن ثواب ذلك و جزاءه يصل إليه دون غيره « و من ضل » عنه و حاد و لم يعمل بما فيه و لم يهتد إلى الحق « فقل » له يا محمد « إنما أنا من المنذرين » الذين يخوفون بعقاب الله من." (١)

"« يذبح أبناءهم و يستحيي نساءهم » يقتل الأبناء و يستبقي البنات فلا يقتلن و ذلك أن بعض الكهنة قال له إن مولودا يولد في بني إسرائيل يكون سبب ذهاب ملكك و قال السدي رأى فرعون في منامه أن نارا أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فأحرقت القبط و تركت بني إسرائيل فسأل علماء قومه فقالوا له يخرج من هذا البلد رجل يكون هلاك مصر على يده « إنه كان من المفسدين » بالقتل و العمل بالمعاصي « و نريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض » المعنى أن فرعون كان يريد إهلاك بني إسرائيل و إفناءهم و نحن نريد أن نمن عليهم « و نجعلهم أئمة » أي قادة و رؤساء في الخير يقتدى بهم عن ابن عباس و قيل نجعلهم ولاة و ملوكا عن قتادة و هذا القول مثل الأول لأن الذين جعلهم الله ملوكا فهم أئمة و لا يضاف إلى الله سبحانه ملك من يملك الناس عدوانا و ظلما و قد قال سبحانه « فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب و الحكمة و آتيناهم ملكا عظيما » و الملك من الله تعالى هو الذي يجب أن يطاع فالأئمة على هذا ملوك مقدمون في الدين و الدنيا يطأ الناس أعقابهم « و نجعلهم الوارثين » لديار فرعون و قومه و أموالهم و قد صحت الرواية عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال و الذي فلق الحبة و برأ النسمة لتعطفن الدنيا علينا بعد شماسها عطف الضروس على ولدها و تلا عقيب ذلك « و نريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض » الآية و روى العياشي بالإسناد عن أبي الصباح الكناني قال نظر أبو جعفر (عليه السلام) إلى عبد الله (عليه السلام) فقال هذا و الله من الذين قال الله تعالى « و نريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض » الآية و قال سيد العابدين علي بن الحسين (عليهماالسلام) و الذي بعث محمدا بالحق بشيرا و نذيرا إن الأبرار منا **أهل البيت** و شيعتهم بمنزلة موسى و شيعته و إن عدونا و أشياعهم بمنزلة فرعون و أشياءه « و نمكن لهم في الأرض » أي و نريد أن نمكن لبني إسرائيل في أرض مصر و التمكين هو فعل جميع ما لا يصح الفعل إلا معه مع القدرة و الآلة و اللطف

---

(١) تفسير مجمع البيان – الطبرسي٧/٣٧٠

و غير ذلك و قال علي بن عيسى اللطف لا يدخل في التمكين لأنه لو دخل فيه لكان من لا لطف له لم يكن ممكنا و لكنه من باب إزاحة العلة « و نري فرعون و هامان و جنودهما منهم » أي من بني إسرائيل « ما كانوا يحذرون » من ذهاب الملك على يد رجل منهم قال الضحاك عاش فرعون أربعمائة سنة و كان قصيرا دميما و هو أول من خضب بالسواد و عاش موسى (عليه السلام) مائة و عشرين سنة .." (١)

"أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية فلم يسلم أبو طالب و أسلم وحشي و رووا ذلك عن ابن عباس و غيره و في هذا نظر كما ترى فإن النبي (صلى الله عليهوآلهوسلم) لا يجوز أن يخالف الله سبحانه في إرادته كما لا يجوز أن يخالفه في أوامره و نواهيه و إذا كان الله تعالى على ما زعم القوم لم يرد إيمان أبي طالب و أراد كفره و أراد النبي (صلى الله عليهوآلهوسلم) إيمانه فقد حصل غاية الخلاف بين إرادتي الرسول (صلى الله عليهوآلهوسلم) و المرسل فكأنه سبحانه يقول على مقتضى اعتقادهم إنك يا محمد تريد إيمانه و لا أريد إيمانه و لا أخلق فيه الإيمان مع تكفله بنصرتك و بذل مجهوده في إعانتك و الذب عنك و محبته لك و نعمته عليك و تكره أنت إيمان وحشي لقتله عمك حمزة و أنا أريد إيمانه و أخلق في قلبه الإيمان و في هذا ما فيه و قد ذكرنا في سورة الأنعام أن **أهل البيت** (عليهم السلام) قد أجمعوا عى أن أبا طالب مات مسلما و تظاهرت الروايات بذلك عنهم و أوردنا هناك طرفا من أشعاره الدالة على تصديقه للنبي (صلى الله عليهوآلهوسلم) و توحيده فإن استيفاء ذلك جميعه لا تتسع له الطوامير و ما روي من ذلك في كتب المغازي و غيرها أكثر من أن يحصى يكاشف فيها من كاشف النبي (صلى الله عليهوآلهوسلم) و يناضل عنه و يصحح نبوته و قال بعض الثقات إن قصائده في هذا المعنى التي تنفث في عقد السحر و تغبر في وجه شعراء الدهر يبلغ قدر مجلد و أكثر من هذا و لا شك في أنه لم يختر تمام مجاهرة الأعداء استصلاحا لهم و حسن تدبيره في دفع كيادهم لئلا يلجئوا الرسول إلى ما ألجئوه إليه بعد موته .

المعنى

لما تقدم ذكر الرسول و القرآن و أنه أنزل هدى للخلق بين سبحانه أنه ليس عليه الاهتداء و إنما عليه البلاغ و الأداء فقال « إنك » يا محمد « لا تهدي من أحببت » هدايته و قيل من أحببته لقرابته و المراد بالهداية هنا اللطف الذي يختار عنده الإيمان فإنه لا يقدر عليه إلا الله تعالى لأنه إما أن يكون من فعله خاصة أو بإعلامه و لا يعلم ما يصلح المرء في دينه إلا الله تعالى فإن الهداية التي هي الدعوة و البيان قد

(١) تفسير مجمع البيان – الطبرسي٧/٣٧٤

أضافها سبحانه إليه في قوله و إنك لتهدي إلى صراط مستقيم و قيل إن المراد بالهداية في الآية الإجبار على الاهتداء أي أنت لا تقدر على ذلك و قيل معناه ليس عليك اهتداؤهم و قبولهم الحق « و لكن الله يهدي من يشاء » بلطفه و قيل على وجه الإجبار « و هو أعلم بالمهتدين » أي القابلين للهدى فيدبر الأمور على ما يعلمه من صلاح العباد ثم قال سبحانه حاكيا عن الكفار « و قالوا إن نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا » أي نستلب من أرضنا يعني أرض مكة و الحرم و قيل إنما قاله الحرث بن نوفل بن عبد مناف فإنه قال للنبي (صلى الله عليهوآلهوسلم) إنا لنعلم أن قولك حق و لكن يمنعنا أن نتبع الهدى معك و نؤمن بك مخافة أن يتخطفنا العرب من أرضنا و لا طاقة لنا بالعرب فقال سبحانه رادا." (١)

"صوته بالحديث رفعا قبيحا إلا أن يكون داعيا أو يقرأ القرآن ثم ذكر سبحانه نعمه على خلقه و نبههم على معرفتها فقال « أ لم تروا أن الله سخر لكم ما في السماوات » من الشمس و القمر و النجوم « و ما في الأرض » من الحيوان و النبات و غير ذلك مما تنتفعون به و تتصرفون فيه بحسب ما تريدون « و أسبغ عليكم » أي أوسع عليكم و أتم عليكم نعمه « ظاهرة و باطنة » فالظاهرة ما لا يمكنكم جحده من خلقكم و إحيائكم و أقداركم و خلق الشهوة فيكم و غيرها من ضروب النعم و الباطنة ما لا يعرفها إلا من أمعن النظر فيها و قيل الباطنة مصالح الدين و الدنيا مما يعلمه الله و غاب عن العباد علمه عن ابن عباس و في رواية الضحاك عنه قال سألت النبي (صلى الله عليهوآلهوسلم) عنه فقال يا ابن عباس أما ما ظهر فالإسلام و ما سوى الله من خلقك و ما أفاض عليك من الرزق و أما ما بطن فستر مساوىء عملك و لم يفضحك به يا ابن عباس إن الله تعالى يقول ثلاثة جعلتهن للمؤمن و لم تكن له صلاة المؤمنين عليه من بعد انقطاع عمله و جعلت له ثلث ماله أكفر به عنه خطاياه و الثالث سترت مساوىء عمله و لم أفضحه بشيء منه و لو أبديتها عليه لنبذه أهله فمن سواهم و قيل الظاهرة تخفيف الشرائع و الباطنة الشفاعة عن عطا و قيل الظاهرة نعم الدنيا و الباطنة نعم الآخرة و قيل الظاهرة نعم الجوارح و الباطنة نعم القلب عن الربيع و قيل الظاهرة ظهور الإسلام و النصر على الأعداء و الباطنة الأمداد بالملائكة عن مجاهد و قيل الظاهرة حسن الصورة و امتداد القامة و تسوية الأعضاء و الباطنة المعرفة عن الضحاك و قيل الظاهرة القرآن و الباطنة تأويله و معانيه و قال الباقر (عليه السلام) النعمة الظاهرة النبي (صلى الله عليهوآلهوسلم) و ما جاء به النبي من معرفة الله عز و جل و توحيده و أما النعمة الباطنة ولايتنا **أهل البيت** و عقد مودتنا و لا تنافي بين هذه الأقوال و كلها نعم الله تعالى و يجوز حمل الآية على الجميع « و من الناس من يجادل

---

(١) تفسير مجمع البيان – الطبرسي٧/٤٠٥

» أي يخاصم « في الله بغير علم » بما يقوله « و لا هدى » أي و لا دلالة و حجة « و لا كتاب منير » أي و لا كتاب من عند الله ظاهر واضح و قد مضى هذا مفسرا في سورة الحج .

و إذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه ءاباءنا أ و لو كان الشيطن يدعوهم إلى عذاب السعير(٢١) * و من يسلم وجهه إلى الله و هو محسن فقد استمسك بالعروة الوثقى و إلى الله عقبة الأمور(٢٢) و من كفر فلا يحزنك كفره إلينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا إن الله عليم بذات الصدور(٢٣) نمتعهم قليلا ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ(٢٤) و لئن سألتهم من خلق السموت و الأرض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون(٢٥)." (١)

"أي أولى بالمخافة ثم عاد سبحانه إلى الكلام في تأكيد نبوة نبينا (صلى الله عليهوآلهوسلم) بذكر ما أخذ على النبيين من الميثاق في هذا الباب و عقب ذلك ببيان آياته و معجزاته يوم الأحزاب و ذكر ما أنعم عليه و على المؤمنين من النصر مع ما أعده لهم من الثواب .

] قصة غزوة الخندق [

ذكر محمد بن كعب القرظي و غيره من أصحاب السير قالوا كان من حديث الخندق أن نفرا من اليهود منهم سلام بن أبي الحقيق و حيي بن أخطب في جماعة من بني النضير الذين أجلاهم رسول الله (صلى الله عليهوآلهوسلم) خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة فدعوهم إلى حرب رسول الله (صلى الله عليهوآلهوسلم) و قالوا إنا سنكون معكم عليهم حتى نستأصلهم فقالت لهم قريش يا معشر اليهود إنكم أهل الكتاب الأول فديننا خير أم دين محمد قالوا بل دينكم خير من دينه فأنتم أولى بالحق منه فهم الذين أنزل الله فيهم أ لم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت و الطاغوت و يقولون للذين كفروا هؤلاء أهدى من الذين آمنوا سبيلا إلى قوله و كفى بجهنم سعيرا فسر قريشا ما قالوا و نشطوا لما دعوهم إليه فأجمعوا لذلك و اتعدوا له ثم خرج أولئك النفر من اليهود حتى جاءوا غطفان فدعوهم إلى حرب رسول الله (صلى الله عليهوآلهوسلم) و أخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه (صلى الله عليهوآلهوسلم) و إن قريشا قد بايعوهم على ذلك فأجابوهم فخرجت قريش و قائدهم أبو سفيان بن حرب و خرجت غطفان و قائدها عيينة بن حصين بن حذيفة بن بدر في فزارة و الحرث بن عوف في بني مرة و مسعر بن جبلة الأشجعي فيمن تابعه من أشجع و كتبوا إلى حلفائهم من بني أسد فأقبل طليحة في من اتبعه من بني أسد و هما حليفان أسد و غطفان و كتب قريش إلى رجال من بني سليم فأقبل أبو الأعور السلمي فيمن اتبعه من بني

---

(١) تفسير مجمع البيان – الطبرسي٧٨/٨

سليم مددا لقريش فلما علم بذلك رسول الله (صلى الله عليهوآلهوسلم) ضرب الخندق على المدينة و كان الذي أشار عليه سلمان الفارسي (ره) و كان أول مشهد شهده سلمان مع رسول الله (صلى الله عليهوآلهوسلم) و هو يومئذ حر قال يا رسول الله إنا كنا بفارس إذا حوصرنا خندقنا علينا فعمل فيه رسول الله (صلى الله عليهوآلهوسلم) و المسلمون حتى أحكموه فمما ظهر من دلائل النبوة في حفر الخندق ما رواه أبو عبد الله الحافظ بإسناده عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني قال حدثني أبي عن أبيه قال خط رسول الله (صلى الله عليهوآلهوسلم) الخندق عام الأحزاب أربعين ذراعا بين عشرة فاختلف المهاجرون و الأنصار في سلمان الفارسي و كان رجلا قويا فقال الأنصار سلمان منا و قال المهاجرون سلمان منا فقال رسول الله (صلى الله عليهوآلهوسلم) سلمان منا أهل البيت قال." (١)

"الواحد مثله و ضعفي الشيء مثلاه و قال غيره المراد بالضعف المثل فالمعنى أنها يزاد في عذابها ضعف كما زيد في ثوابها ضعف في قوله « نؤتها أجرها مرتين » « و كان ذلك على الله يسيرا » أي كان عذابها على الله هينا عن مقاتل « و من يقنت منكن لله و رسوله » أي و من يطع الله و رسوله و القنوت الطاعة و قيل معناه من يواظب منكن على الطاعة لله و لرسوله و منه القنوت في الصلاة و هو المداومة على الدعاء المعروف « و تعمل صالحا » فيما بينها و بين ربها « نؤتها أجرها مرتين » أي نؤتها ثوابها مثلي ثواب غيرها و روى أبو حمزة الثمالي عن زيد بن علي (ع) أنه قال إني لأرجو للمحسن منا أجرين و أخاف على المسيء منا أن يضاعف له العذاب ضعفين كما وعد أزواج النبي (صلى الله عليهوآلهوسلم) و روى محمد بن أبي عمير عن إبراهيم ابن عبد الحميد عن علي بن عبد الله بن الحسين عن أبيه عن علي بن الحسين زين العابدين أنه قال له رجل إنكم أهل بيت مغفور لكم قال فغضب و قال نحن أحرى أن يجري فينا ما أجرى الله في أزواج النبي (صلى الله عليهوآلهوسلم) من أن نكون كما تقول إنا نرى لمحسننا ضعفين من الأجر و لمسيئنا ضعفين من العذاب ثم قرأ الآيتين « و أعتدنا لها رزقا كريما » أي عظيم القدر رفيع الخيار و قيل إن الرزق الكريم ما سلم من كل آفة و قيل هو الثواب الذي لا يحسن الابتداء بمثله .

ينساء النبى لستن كأحد من النساء إن اتقيتن فلا تخضعن بالقول فيطمع الذى فى قلبه مرض و قلن قولا معروفا(٣٢) و قرن فى بيوتكن و لا تبرجن تبرج الجهلية الأولى و أقمن الصلوة و ءاتين الزكوة و أطعن الله و رسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا(٣٣) و اذكرن ما يتلى فى بيوتكن من ءايت الله و الحكمة إن الله كان لطيفا خبيرا(٣٤) إن المسلمين و المسلمت و المؤمنين و

(١) تفسير مجمع البيان – الطبرسي٨/١١٠

المؤمنت و القنتين و القنتت و الصدقين و الصدقت و الصبرين و الصبرت و الخشعين و الخشعت و المتصدقين و المتصدقت و الصئمين و الصئمت و الحفظين فروجهم و الحفظت و الذكرين الله كثيرا و الذكرت أعد الله لهم مغفرة و أجرا عظيما(٣٥)." (١)

"القراءة

قرأ أهل المدينة و عاصم « و قرن » بفتح القاف و قرأ الباقون و هبيرة عن حفص عن عاصم و قرن بكسر القاف و في الشواذ قراءة الأعرج و أبان بن عثمان فيطمع الذي بكسر العين .

الحجة

قال أبو علي قوله و قرن لا يخلو إما أن يكون من القرار أو من الوقار فإن كان من الوقار فهو مثل عدن و كلن مما يحذف فيه الفاء و هي واو فيبقى من الكلمة علن و إن كان من القرار فيكون الأمر اقررن فيبدل من العين الياء كراهة التضعيف كما أبدل في قيراط و دينار فيصير لها حركة الحرف المبدل منه ثم تلقى الحركة على الفاء فتسقط همزة الوصل لتحرك ما بعدها فتقول قرن لأن حركة الراء كانت كسرة في تقر أ لا ترى أن القاف متحرك بها و أما من فتح فقال قرن فمن لم يجز قررت بالمكان أقر و إنما يقول قررت أقر فإن فتح الفاء عنده لا يجوز و من أجاز ذلك جاز على قوله « قرن » كما جاز قرن و هي لغة حكاها الكسائي و قال أبو عثمان يقال قررت به عينا أقر و لا يقال قررت في هذا المعنى و قررت في المكان فأنا أقر فيه يقال قررت في هذا المعنى و من قرأ فيطمع الذي بالكسر فهو معطوف على « فلا تخضعن » أي فلا يطمع الذي في قلبه مرض فكلاهما منهي عنه إلا أن النصب أقوى لأنه يكون بمعنى أن طمعه مسبب عن خضوعهن بالقول و إذا كان عطفا كان نهيا لهن و له و ليس فيه دليل على أن الطمع واقع من أجلهن .

اللغة

التبرج إظهار المرأة محاسنها مأخوذ من البرج و هو السعة في العين و طعنة برجاء واسعة و في أسنانه برج إذا تفرق ما بينها .

الإعراب

قوله « ليذهب » اللام يتعلق بمحذوف تقديره و إرادته ليذهب و يجوز أن يتعلق بيريد .

---

(١) تفسير مجمع البيان – الطبرسي١٣٣/٨

« أهل البيت » منصوب على المدح تقديره أعني أهل البيت و يجوز أن يكون منادى مضافا و يجوز في العربية جر اللام و رفعها فالجر على أن يكون بدلا من كم و الرفع." (١)

"على المدح .

المعنى

ثم أظهر سبحانه فضيلتهن على سائر النسوان بقوله « يا نساء النبي لستن كأحد من النساء » قال الزجاج لم يقل كواحدة من النساء لأن أحدا للنفي العام و قال ابن عباس معناه ليس قدركن عندي كقدر غيركن من النساء الصالحات أنتن أكرم علي فأنا بكن أرحم و ثوابكن أعظم لمكانكن من رسول الله (صلى الله عليهوآلهوسلم) « إن اتقيتن » الله شرط عليهن التقوى ليبين سبحانه أن فضيلتهن بالتقوى لا باتصالهن بالنبي (صلى الله عليهوآلهوسلم) « فلا تخضعن بالقول » أي لا ترققن القول و لا تلن الكلام للرجال و لا تخاطبن الأجانب مخاطبة تؤدي إلى طمعهم فتكن كما تفعل المرأة التي تظهر الرغبة في الرجال « فيطمع الذي في قلبه مرض » أي نفاق و فجور عن قتادة و قيل من في قلبه شهوة للزنا عن عكرمة و قيل أن المرأة مندوبة إذا خاطبت الأجانب إلى الغلظة في المقالة لأن ذلك أبعد من الطمع في الريبة « و قلن قولا معروفا » أي مستقيما جميلا بريئا من التهمة بعيدا من الريبة موافقا للدين و الإسلام « و قرن في بيوتكن » أمرهن بالاستقرار في بيوتهن و المعنى اثبتن في منازلكن و الزمنها و إن كان من وقر يقر فمعناه كن أهل وقار و سكينة « و لا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى » أي لا تخرجن على عادة النساء اللاتي في الجاهلية و لا تظهرن زينتكن كما كن يظهرن ذلك و قيل التبرج التبختر و التكبر في المشي عن قتادة و مجاهد و قيل هو أن تلقي الخمار على رأسها و لا تشده فتواري قلائدها و قرطيها فيبدو ذلك منها عن مقاتل و المراد بالجاهلية الأولى ما كان قبل الإسلام عن قتادة و قيل ما كان بين آدم (عليه السلام) و نوح (عليه السلام) ثمان مائة سنة عن الحكم و قيل ما بين عيسى و محمد عن الشعبي قال و هذا لا يقتضي أن يكون بعدها جاهلية في الإسلام لأن الأول اسم للسابق تأخر عنه غيره أو لم يتأخر و قيل أن معنى « تبرج الجاهلية الأولى » أنهم كانوا يجوزون أن تجمع امرأة واحدة زوجا و خلا فتجعل لزوجها نصفها الأسفل و لخلها نصفها الأعلى يقبلها و يعانقها ثم قال « و أقمن الصلاة » أي أدينها في أوقاتها بشرائطها « و آتين الزكاة » المفروضة في أموالكن « و أطعن الله و رسوله » فيما يأمرانكن به و ينهانكن عنه ثم قال عز و جل « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا » قال ابن عباس الرجس عمل الشيطان و

---

(١) تفسير مجمع البيان – الطبرسي١٣٤/٨

ما ليس لله فيه رضى و البيت التعريف فيه للعهد و المراد به بيت النبوة و الرسالة و العرب تسمي ما يلتجأ إليه بيتا و لهذا سموا الأنساب بيوتا و قالوا بيوتات العرب يريدون النسب قال :

ألا يا بيت بالعلياء بيت

و لو لا حب أهلك ما أتيت." (١)

"ألا يا بيت أهلك أوعدوني

كأني كل ذنبهم جنيت يريد بيت النسب و بيت النبوة و الرسالة كبيت النسب قال الفرزدق :

بيت زرارة محتب بفنائه

و مجاشع و أبو الفوارس نهشل

لا يحتبي بفناء بيتك مثلهم

أبدا إذا عد الأكمل .

و قيل البيت بيت الحرام و أهله هم المتقون على الإطلاق لقوله إن أولياؤه إلا المتقون و قيل البيت مسجد رسول الله (صلى الله عليهوآلهوسلم) و أهله من مكنه رسول الله (صلى الله عليهوآلهوسلم) فيه و لم يخرجه و لم يسد بابه و قد اتفقت الأمة بأجمعها على أن المراد **بأهل البيت** في الآية أهل بيت نبينا (صلى الله عليهوآلهوسلم) ثم اختلفوا فقال عكرمة أراد أزواج النبي لأن أول الآية متوجه إليهن و قال أبو سعيد الخدري و أنس بن مالك و واثلة بن الأسقع و عائشة و أم سلمة أن الآية مختصة برسول الله (صلى الله عليهوآلهوسلم) و علي و فاطمة و الحسن و الحسين (عليهماالسلام) ذكر أبو حمزة الثمالي في تفسيره حدثني شهر بن حوشب عن أم سلمة قالت جاءت فاطمة (عليهاالسلام) إلى النبي (صلى الله عليهوآلهوسلم) تحمل حريرة لها فقال ادعي زوجك و ابنيك فجاءت بهم فطعموا ثم ألقى عليهم كساء له خيبريا فقال اللهم هؤلاء أهل بيتي و عترتي فأذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا فقلت يا رسول الله و أنا معهم قال أنت إلى خير و روى الثعلبي في تفسيره أيضا بالإسناد عن أم سلمة أن النبي (صلى الله عليهوآلهوسلم) كان في بيتها فأتته فاطمة (عليهاالسلام) ببرمة فيها حريرة فقال لها ادعي زوجك و ابنيك فذكرت الحديث نحو ذلك ثم قالت فأنزل الله تعالى « إنما يريد الله » الآية قالت فأخذ فضل الكساء فغشاهم به ثم أخرج يده فألوى يده بها إلى السماء ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي و حامتي فأذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا فأدخلت رأسي البيت و قلت و أنا معكم يا رسول الله قال إنك إلى خير أنك إلى

---

(١) تفسير مجمع البيان – الطبرسي٨/١٣٥

خير و بإسناده قال مجمع دخلت مع أمي على عائشة فسألتها أمي أ رأيت خروجك يوم الجمل قالت أنه كان قدرا من الله فسألتها عن علي (عليه السلام) فقالت تسأليني عن أحب الناس كان إلى رسول الله (صلى الله عليهوآلهوسلم) و زوج أحب الناس كان إلى رسول الله (صلى الله عليهوآلهوسلم) لقد رأيت عليا و فاطمة و حسنا و حسينا (عليهماالسلام) و جمع رسول الله (صلى الله عليهوآلهوسلم) بثوب عليهم ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي و حامتي فأذهب عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا قالت فقلت يا رسول الله أنا من أهلك قال تنحي فإنك إلي خير و بإسناده عن أبي سعيد الخدري عن النبي (صلى الله عليهوآلهوسلم) قال نزلت هذه الآية في خمسة في و في علي و حسن و حسين و فاطمة (عليهماالسلام) و أخبرنا السيد أبو الحمد قال حدثنا الحاكم أبو القاسم الحسكاني قال حدثونا عن أبي." [١]

"بكر السبيعي قال حدثنا أبو عروة الحراني قال حدثنا ابن مصغي قال حدثنا عبد الرحيم بن واقد عن أيوب بن سيار عن محمد بن المنكدر عن جابر قال نزلت هذه الآية على النبي (صلى الله عليهوآلهوسلم) و ليست في البيت إلا فاطمة و الحسن و الحسين (عليهماالسلام) و علي (عليه السلام) « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس **أهل البيت** » فقال النبي (صلى الله عليهوآلهوسلم) اللهم هؤلاء أهلي و حدثنا السيد أبو الحمد قال حدثنا الحاكم أبو القاسم بإسناده عن زاذان عن الحسن بن علي (عليهماالسلام) قال لما نزلت آية التطهير جمعنا رسول الله (صلى الله عليهوآلهوسلم) و إياه في كساء لأم سلمة خيبري ثم قال اللهم هؤلاء أهل بيتي و عترتي و الروايات في هذا كثيرة من طريق العامة و الخاصة لو قصدنا إلى إيرادها لطال الكتاب و فيما أوردناه كفاية و استدلت الشيعة على اختصاص الآية بهؤلاء الخمسة (عليهم السلام) بأن قالوا إن لفظة إنما محققة لما أثبت بعدها ، نافية لما لم يثبت فإن قول القائل إنما لك عندي درهم و إنما في الدار زيد يقتضي أنه ليس عنده سوى الدرهم و ليس في الدار سوى زيد و إذا تقرر هذا فلا تخلو الإرادة في الآية أن تكون هي الإرادة المحضة أو الإرادة التي يتبعها التطهير و إذهاب الرجس و لا يجوز الوجه الأول لأن الله تعالى قد أراد من كل مكلف هذه الإرادة المطلقة فلا اختصاص لها **بأهل البيت** دون سائر الخلق و لأن هذا القول يقتضي المدح و التعظيم لهم بغير شك و شبهة و لا مدح في الإرادة المجردة فثبت الوجه الثاني و في ثبوته ثبوت عصمة المعنيين بالآية من جميع القبائح و قد علمنا أن من عدا من ذكرناه من **أهل البيت** غير مقطوع على عصمته فثبت أن الآية مختصة بهم لبطلان تعلقها بغيرهم و متى قيل أن صدر الآية و ما بعدها في الأزواج فالقول فيه أن هذا لا ينكره من عرف عادة الفصحاء في كلامهم

---

(١) تفسير مجمع البيان – الطبرسي٨/١٣٦

فإنهم يذهبون من خطاب إلى غيره و يعودون إليه و القرآن من ذلك مملوء و كذلك كلام العرب و أشعارهم ثم عاد سبحانه إلى ذكر الأزواج فقال « و اذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله و الحكمة » معناه و اشكرن الله تعالى إذ صيركن في بيوت يتلى فيها القرآن و السنة عن قتادة و قيل اذكرن أي احفظن ذلك و ليكن منكن على بال أبدا لتعملن بموجبه و هذا حث لهن على حفظ القرآن و الأخبار و مذاكرتهن بهما و الخطاب و إن اختص بهن فغيرهن يشاركهن فيه لأن بناء الشريعة على القرآن و السنة « إن الله كان لطيفا » بأوليائه « خبيرا » بجميع خلقه و قيل لطيفا في تدبير خلقه و إيصال المنافع إليهم خبيرا بما يكون منهم و مصالحهم و مفاسدهم فيأمرهم بفعل ما فيه صلاحهم و اجتناب ما فيه فسادهم قال مقاتل بن حيان لما رجعت أسماء بنت عميس من الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب (عليه السلام) دخلت على نساء رسول الله (صلى الله عليهوآلهوسلم) فقالت هل نزل فينا شيء من القرآن قلن لا فأتت رسول الله (صلى الله عليهوآلهوسلم) فقالت يا رسول الله إن النساء لفي خيبة و خسار فقال (صلى الله عليهوآلهوسلم) و مم ذلك قالت لأنهن لا يذكرن بخير كما يذكر الرجال فأنزل الله تعالى هذه." (١)

"ذلك « قل الله » الذي يرزقكم « و إنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين » إنما قال ذلك على وجه الإنصاف في الحجاج دون الشك كما يقول القائل لغيره أحدنا كاذب و إن كان هو عالما بالكاذب و على هذا يقول أبو الأسود الدئلي يمدح **أهل البيت** (عليهم السلام) :

يقول الأرذلون بنو قشير

طوال الدهر لا تنسى عليا

بنو عم النبي و أقربوه

أحب الناس كلهم إليا

فإن يك حبهم رشدا أصبه

و لست بمخطىء إن كان غيا لم يقل هذا لكونه شاكا في محبتهم و قد أيقن أن محبتهم رشد و هدى و قيل إنه جمع بين الخبرين و فوض التمييز إلى العقول فكأنه قال أنا على هدى و أنتم على ضلال كقول امرىء القيس :

كأن قلوب الطير رطبا و يابسا

لدى وكرها العناب و الحشف البالي فجمع بين القلوب الرطبة و اليابسة و جمع بين العناب و الحشف

---

(١) تفسير مجمع البيان – الطبرسي٨/١٣٧

البالي و قيل إنما قاله على وجه الاستعطاف و المداراة ليسمع الكلام و هذا من أحسن ما ينسب به المحق نفسه إلى الهدى و خصمه إلى الضلال لأنه كلام من لا يكاشف خصمه بالتضليل بل ينسبه إليه على أحسن وجه و يحثه على النظر و لا يجب النظر إلا بعد التردد « قل » يا محمد إذا لم ينقادوا للحجة « لا تسئلون » أيها الكفار « عما أجرمنا » أي اقترفنا من المعاصي « و لا نسأل » نحن « عما تعملون » أي تعملونه أنتم بل كل إنسان يسأل عما يعمله و يجازى على فعله دون فعل غيره و في هذا دلالة على أن أحدا لا يجوز أن يؤخذ بذنب غيره .

قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق و هو الفتاح العليم(٢٦) قل أرونى الذين ألحقتم به شركاء كلا بل هو الله العزيز الحكيم(٢٧) و ما أرسلنك إلا كافة للناس بشيرا و نذيرا و لكن أكثر الناس لا يعلمون(٢٨) و يقولون متى هذا الوعد إن كنتم صدقين(٢٩) قل لكم ميعاد يوم لا تستئخرون عنه ساعة و لا تستقدمون(٣٠)." (١)

"هذا مما يجب بالإسلام فلا يكون أجرا للنبوة (و الآخر) أنه استثناء متصل و المعنى لا أسألكم عليه أجرا إلا هذا فقد رضيت به أجرا كما أنك تسأل غيرك حاجة فيعرض المسئول عليك برا فتقول له اجعل بري قضاء حاجتي و على هذا يجوز أن يكون المعنى لا أسألكم عليه أجرا إلا هذا و نفعه أيضا عائد عليكم فكأني لم أسألكم أجرا كما مر بيانه في قوله قل ما سألتكم من أجر فهو لكم و ذكر أبو حمزة الثمالي في تفسيره حدثني عثمان بن عمير عن سعيد بن جبير عن عبد الله بن عباس أن رسول الله (صلى الله عليهوآلهوسلم) حين قدم المدينة و استحكم الإسلام قالت الأنصار فيما بينها نأتي رسول الله (صلى الله عليهوآلهوسلم) فنقول له إن تعرك أمور فهذه أموالنا تحكم فيها غير حرج و لا محظور عليك فأتوه في ذلك فنزلت « قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى » فقرأها عليهم و قال تودون قرابتي من بعدي فخرجوا من عنده مسلمين لقوله فقال المنافقون إن هذا لشيء افتراه في مجلسه أراد بذلك أن يذللنا لقرابته من بعده فنزلت أم يقولون افترى على الله كذبا فأرسل إليهم فتلاها عليهم فبكوا و اشتد عليهم فأنزل الله و هو الذي يقبل التوبة عن عباده الآية فأرسل في إثرهم فبشرهم و قال و يستجيب الذين آمنوا و هم الذين سلموا لقوله ثم قال سبحانه « و من يقترف حسنة نزد له فيها حسنا » أي و من فعل طاعة نزد له في تلك الطاعة حسنا بأن نوجب له الثواب و ذكر أبو حمزة الثمالي عن السدي قال إن اقتراف الحسنة المودة لآل محمد (صلى الله عليهوآلهوسلم) و صح عن الحسن بن علي (عليهماالسلام) أنه خطب الناس فقال في

---

(١) تفسير مجمع البيان – الطبرسي١٨٧/٨

خطبته إنا من **أهل البيت** الذين افترض الله مودتهم على كل مسلم فقال « قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى و من يقترف حسنة نزد له فيها حسنا » فاقتراف الحسنة مودتنا **أهل البيت** و روي إسماعيل بن عبد الخالق عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال إنها نزلت فينا **أهل البيت** أصحاب الكساء « إن الله غفور شكور » أي غفور للسيئات شكور للطاعات يعامل عباده معاملة الشاكر في توفية الحق حتى كأنه ممن وصل إليه النفع فشكره « أم يقولون افترى على الله كذبا » أي بل يقولون افترى محمد على الله كذبا في ادعائه الرسالة عن الله « فإن يشأ الله يختم على قلبك » أي لو حدثت نفسك بأن تفتري على الله كذبا لطبع الله على قلبك و لأنساك القرآن فكيف تقدر أن تفتري على الله و هذا كقوله لئن أشركت ليحبطن عملك و قيل معناه فإن يشأ الله يربط على قلبك بالصبر على أذاهم حتى لا يشق عليك قولهم إنه مفتر و ساحر عن مجاهد و مقاتل فعلى هذا لا يحتاج إلى إضمار و حذف ثم أخبر سبحانه أنه يذهب ما يقولونه باطلا فقال « و يمح الله الباطل » أي يزيله و يرفعه بإقامة الدلائل على بطلانه و حذف الواو من يمحو في المصاحف." (١)

"يضحكون لما أتوا به من عندهم من تسويتهم بين عيسى و بين آلهتهم و ما ضربوه إلا إرادة للمجادلة لأنهم قد علموا أن المراد بحصب جهنم ما اتخذوا من الموات .

اللغة

يقال آسفه فأسف يأسف أسفا أي أغضبه فغضب و أحزنه فحزن و يقال الأسف الغيظ من المغتم إلا أنه هاهنا بمعنى الغضب و السلف المتقدم على غيره قبل مجيء وقته و منه السلف في البيع و السلف نقيض الخلف و الجدل مقابل الحجة بالحجة و قيل الجدل اللدد في الخصام و أصله من جدل الحبل و هو شدة فتله و رجل مجدول الخلق أي شديدة و قيل أصله من الجدالة و هي الأرض كان كل واحد من الخصمين يروم إلقاء صاحبه على الجدالة .

المعنى

ثم أخبر سبحانه عن انتقامه من فرعون و قومه فقال « فلما آسفونا » أي أغضبونا عن ابن عباس و مجاهد و غضب الله سبحانه على العصاة إرادة عقوبتهم و رضاه عن المطيعين إرادة ثوابهم الذي يستحقونه على طاعتهم و قيل معناه آسفوا رسلنا لأن الأسف بمعنى الحزن لا يجوز على الله سبحانه « انتقمنا منهم » أي انتقمنا لأوليائنا منهم « فأغرقناهم أجمعين » ما نجا منهم أحد « فجعلناهم سلفا » أي متقدمين إلى

---

(١) تفسير مجمع البيان – الطبرسي٩/٤٣

النار « و مثلا » أي عبرة و موعظة « للآخرين » أي لمن جاء بعدهم يتعظون بهم و المعنى أن حال غيرهم يشبه حالهم إذا أقاموا على العصيان « و لما ضرب ابن مريم مثلا » اختلف في المراد به على وجوه (أحدها أن معناه و لما وصف ابن مريم شبها في العذاب بالآلهة أي فيما قالوه على زعمهم و ذلك أنه لما نزل قوله « إنكم و ما تعبدون من دون الله حصب جهنم » قال المشركون قد رضينا بأن تكون آلهتنا حيث يكون عيسى و ذلك قوله « إذا قومك منه يصدون » أي يضجون ضجيج المجادلة حيث خاصموك و هو قوله « و قالوا أ آلهتنا خير أم هو » أي ليست آلهتنا خيرا من عيسى فإن كان عيسى في النار بأنه يعبد من دون الله فكذلك آلهتنا عن ابن عباس و مقاتل (و ثاني١٠) أن معناه لما ضرب الله المسيح مثلا ب آدم في قوله « إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب » أي من قدر على أن ينشيء آدم من غير أب و أم قادر على إنشاء المسيح من غير أب اعترض على النبي (صلى الله عليهوآلهوسلم) بذلك قوم من كفار قريش فنزلت هذه الآية (و ثالثها) أن معناه أن النبي (صلى الله عليهوآلهوسلم) لما مدح المسيح و أمه و أنه ك آدم في الخاصية قالوا إن محمدا يريد أن نعبده كما عبدت النصارى عيسى عن قتادة (و رابعها) ما رواه سادة أهل البيت عن علي عليهم أفضل الصلوات أنه قال جئت إلى رسول الله (صلى الله عليهوآلهوسلم) يوما فوجدته في ملأ من قريش فنظر إلي ثم قال يا علي إنما مثلك في هذه الأمة كمثل عيسى بن مريم أحبه قوم فأفرطوا في حبه فهلكوا و أبغضه قوم فأفرطوا في بغضه فهلكوا و اقتصد فيه قوم فنجوا فعظم." (١)

"الإعراب

قوله « و هو الذي في السماء إله » ارتفع إله بكونه خبر مبتدإ محذوف من الصلة و تقديره و هو الذي هو في السماء إله و في السماء يتعلق بقوله « إله » و موضعه نصب به و إن كان مقدما عليه « و عنده علم الساعة » أي علم وقوع الساعة فالمصدر مضاف إلى المفعول أي يعلم وقوع الساعة .

المعنى

لما بين سبحانه ما يفعله بالمجرمين بين أنه لم يظلمهم بذلك فقال « و ما ظلمناهم و لكن كانوا هم الظالمين » نفوسهم بما جنوا عليها من العذاب « و نادوا يا مالك » أي و يدعون خازن جهنم فيقولون يا مالك « ليقض علينا ربك » أي ليمتنا ربك حتى نتخلص و نستريح من هذا العذاب « قال » أي فيقول مالك مجيبا لهم « إنكم ماكثون » أي لابثون دائمون في العذاب قال ابن عباس و السدي إنما يجيبهم

---

(١) تفسير مجمع البيان – الطبرسي٩/٧٩

مالك بذلك بعد ألف سنة و قال عبد الله بن عمر بعد أربعين عاما « لقد جئناكم » أي يقول الله تعالى لقد أرسلنا إليكم الرسل « ب الحق » أي جاءكم رسلنا بالحق و أضافه إلى نفسه لأنه كان بأمره و قيل هو من قول مالك و إنما قال « لقد جئناكم » لأنه من الملائكة و هم من جنس الرسل عن الجبائي « و لكن أكثركم » معاشر الخلق « للحق كارهون » لأنكم ألفتم الباطل فكرهتم مفارقته « أم أبرموا أمرا فإنا مبرمون » أي بل أحكموا أمرا في كيد محمد (صلى الله عليهوآلهوسلم) و المكر به « فإنا مبرمون » أي محكمون أمرا في مجازاتهم « أم يحسبون » أي بل أ يظن هؤلاء الكفار « أنا لا نسمع سرهم و نجواهم » أي ما يسرونه من غيرهم و يتناجون به بينهم و السر ما يضمره الإنسان في نفسه و لا يظهره لغيره و النجوى ما يحدث به المحدث غيره في الخفية « بلى » نسمع ذلك و ندركه « و رسلنا لديهم يكتبون » ما يقولونه و يفعلونه يعني الحفظة و سبب نزول الآية مذكور في تفسير **أهل البيت** (عليهم السلام) « قل إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين » اختلف في معن اه على أقوال (أحدها) أن معناه إن كان للرحمن ولد في قولكم و على زعمكم فأنا أول العابدين أي أول من عبد الله وحده فقد دفع أن يكون له ولد و المعنى فأنا أول الموحدين لله المنكرين لقولكم عن مجاهد (و ثانيها) أن إن بمعنى ما النفي و المعنى ما كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين لله المقرين بذلك عن ابن عباس و قتادة و ابن." (١)

"إذا أرسلتني كالسكة المحماة أمضي لما أمرتني أم الشاهد يرى ما لا يرى الغائب فقال (صلى الله عليهوآلهوسلم) بل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب قال علي (عليه السلام) فأقبلت متوشحا بالسيف فوجدته عندها فاخترطت السيف فلما عرف إني أريده أتى نخلة فرقي إليها ثم رمى بنفسه على قفاه و شغر برجليه فإذا أنه أجب أمسح ما له مما للرجال قليل و لا كثير فرجعت فأخبرت النبي (صلى الله عليهوآلهوسلم) فقال الحمد لله الذي يصرف عنا السوء **أهل البيت** و قوله « و إن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا » نزل في الأوس و الخزرج وقع بينهما قتال بالسعف و النعال عن سعيد بن جبير و قيل نزل في رهط عبد الله بن أبي سلول من الخزرج و رهط عبد الله بن رواحة من الأوس و سببه أن النبي (صلى الله عليهوآلهوسلم) وقف على عبد الله بن أبي فراث حمار رسول الله (صلى الله عليهوآلهوسلم) فأمسك عبد الله أنفه و قال إليك عني فقال عبد الله بن رواحة لحمار رسول الله (صلى الله عليهوآلهوسلم) أطيب ريحا منك و من أبيك فغضب قومه و أعان ابن رواحة قومه و كان بينهما ضرب بالحديد و الأيدي و النعال .

المعنى

(١) تفسير مجمع البيان – الطبرسي٩/٨٦

ثم خاطب سبحانه المؤمنين فقال « يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ » أي بخبر عظيم الشأن و الفاسق الخارج عن طاعة الله إلى معصيته « فتبينوا » صدقه من كذبه و لا تبادروا إلى العمل بخبره و من قال فتثبتوا فمعناه توقفوا فيه و تأنوا حتى يثبت عندكم حقيقته « أن تصيبوا قوما بجهالة » أي حذرا من أن تصيبوا قوما في أنفسهم و أموالهم بغير علم بحالهم و ما هم عليه من الطاعة و الإسلام « فتصبحوا على ما فعلتم » من إصابتهم بالخطأ « نادمين » لا يمكنكم تداركه و في هذا دلالة على أن خبر الواحد لا يوجب العلم و لا العمل لأن المعنى إن جاءكم من لا تأمنون أن يكون خبره كذبا فتوقفوا فيه و هذا التعليل موجود في خبر من يجوز كونه ك ا ذبا في خبره و قد استدل بعضهم بالآية على وجوب العمل بخبر الواحد إذا كان عدلا من حيث أن الله سبحانه أوجب التوقف في خبر الفاسق فدل على أن خبر العدل لا يجب التوقف فيه و هذا لا يصح لأن دليل الخطاب لا يعول عليه عندنا و عند أكثر المحققين « و اعلموا أن فيكم رسول الله » أي فاتقوا الله أن تكذبوه أو تقولوا باطلا عنده فإن الله تعالى يخبره بذلك فتفضحوا و قيل معناه و اعلموا بما أخبره الله تعالى من كذب الوليد أن فيكم رسول الله (صلى الله عليهوآلهوسلم) فهذه إحدى معجزاته « لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتم » أي لو فعل ما تريدونه في كثير من الأمر لوقعتم في عنت و هو الإثم و الهلاك فسمى موافقته لما يريدونه طاعة لهم مجازا أ لا ترى أن الطاعة تراعى فيها الرتبة فلا يكون الإنسان مطيعا لمن دونه و إنما يكون مطيعا لمن فوقه إذا فعل ما أمره به ثم خاطب المؤمنين الذين لا يكذبون فقال « و لكن الله حبب إليكم الإيمان » أي جعله أحب الأديان إليكم بأن أقام الأدلة على صحته و بما وعد من الثواب عليه « و زينه في قلوبكم » بالألطاف الداعية." (١)

"الحسن و قيل أراد بالشعوب الموالي و بالقبائل العرب في رواية عطا عن ابن عباس و إلى هذا ذهب قوم فقالوا الشعوب من العجم و القبائل من العرب و الأسباط من بني إسرائيل و روي ذلك عن الصادق (عليه السلام) « لتعارفوا » أي جعلناكم كذلك لتعارفوا فيعرف بعضكم بعضا بنسبه و أبيه و قومه و لو لا ذلك لفسدت المعاملات و خربت الدنيا و لما أمكن نقل حديث « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » أي إن أكثركم ثوابا و أرفعكم منزلة عند الله أتقاكم لمعاصيه و أعملكم بطاعته و روي عن النبي (صلى الله عليهوآلهوسلم) أنه قال يقول الله تعالى يوم القيامة أمرتكم فضيعتم ما عهدت إليكم فيه و رفعتم أنسابكم فاليوم أرفع نسبي و أضع أنسابكم أين المتقون « إن أكرمكم عند الله أتقاكم » و روي أن رجلا سأل عيسى بن مريم أي الناس أفضل فأخذ قبضتين من تراب فقال أي هاتين أفضل الناس خلقوا من تراب فأكرمهم

---

(١) تفسير مجمع البيان – الطبرسي٩/١٩٨

أتقاهم أبو بكر البيهقي بالإسناد عن عباية بن ربعي عن ابن عباس قال قال رسول الله (صلى الله عليهوآلهوسلم) إن الله عز و جل جعل الخلق قسمين فجعلني في خيرهم قسما و ذلك قوله « و أصحاب اليمين » و « أصحاب الشمال » فأنا من أصحاب اليمين و أنا خير أصحاب اليمين ثم جعل القسمين أثلاثا فجعلني في خيرها ثلثا و ذلك قوله « فأصحاب الميمنة » و « أصحاب المشأمة » و « السابقون السابقون » فأنا من السابقين و أنا خير السابقين ثم جعل الأثلاث قبائل فجعلني في خيرها قبيلة و ذلك قوله « و جعلناكم شعوبا و قبائل » الآية فإني أتقي ولد آدم و لا فخر و أكرمهم على الله و لا فخر ثم جعل القبائل بيوتا فجعلني في خيرها بيتا و ذلك قوله عز و جل « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت و يطهركم تطهيرا » فأنا و أهل بيتي مطهرون من الذنوب « إن الله عليم » بأعمالكم « خبير » بأحوالكم لا يخفى عليه شيء من ذلك « قالت الأعراب آمنا » و هم قوم من بني أسد أتوا النبي (صلى الله عليهوآلهوسلم) في سنة جدية و أظهروا الإسلام و لم يكونوا مؤمنين في السر إنما كانوا يطلبون الصدقة و المعنى أنهم قالوا صدقنا بما جئت به فأمره الله سبحانه أن يخبرهم بذلك ليكون آية معجزة له فقال « قل لم تؤمنوا » أي لم تصدقوا على الحقيقة في الباطن « و لكن قولوا أسلمنا » أي أنقدنا و استسلمنا مخافة السبي و القتل عن سعيد بن جبير و ابن زيد ثم بين سبحانه أن الإيمان محله القلب دون اللسان فقال « و لما يدخل الإيمان في قلوبكم » قال الزجاج الإسلام إظهار الخضوع و القبول لما أتى به الرسول و بذلك يحقن الدم فإن كان مع ذلك الإظهار اعتقاد و تصديق بالقلب فذلك الإيمان و صاحبه المؤمن المسلم حقا فأما من أظهر قبول الشريعة و استسلم لدفع المكروه فهو في الظاهر مسلم و باطنه غير مصدق و قد أخرج هؤلاء من الإيمان بقوله « و لما يدخل الإيمان في قلوبكم » أي لم تصدقوا بعد بما أسلمتم تعوذا من القتل فالمؤمن مبطن من التصديق مثل ما يظهر و المسلم التام الإسلام مظهر." (١)

"لا يملك البيع و على اختصاص الجمعة بمكان و لذلك أوجب السعي إليه و فرض الجمعة لازم جميع المكلفين إلا أصحاب الأعذار من السفر أو المرض أو العمى أو العرج أو أن يكون امرأة أو شيخا هما لا حراك به أو عبدا أو يكون على رأس أكثر من فرسخين من الجامع و عند حصول هذه الشرائط لا يجب إلا عند حضور السلطان العادل أو من نصبه السلطان للصلاة و العدد يتكامل عند أهل البيت (عليهم السلام) بسبعة و قيل ينعقد بثلاثة سوى الإمام عن أبي حنيفة و الثوري و قيل إنما ينعقد بأربعين رجلا أحرارا بالغين مقيمين عن الشافعي و قيل ينعقد باثنين سوى الإمام عن أبي يوسف و قيل ينعقد بواحد

---

(١) تفسير مجمع البيان – الطبرسي٩/٢٠٦

كسائر الجماعات عن الحسن و داود و الاختلاف بين الفقهاء في مسائل الجمعة كثير موضعه كتب الفقه « فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض » يعني إذا صليتم الجمعة و فرغتم منها فتفرقوا في الأرض « و ابتغوا من فضل الله » أي و اطلبوا الرزق في البيع و الشراء و هذا إباحة و ليس بأمر و إيجاب و روي عن أنس عن النبي (صلى الله عليهوآلهوسلم) قال في قوله « فإذا قضيت الصلاة فانتشروا » الآية ليس بطلب دنيا و لكن عيادة مريض و حضور جنازة و زيارة أخ في الله و قيل المراد بقوله « و ابتغوا من فضل الله » طلب العلم عن الحسن و سعيد بن جبير و مكحول و روي عن أبي عبد الله (عليه السلام) أنه قال الصلاة يوم الجمعة و الانتشار يوم السبت و روى عمرو بن زيد عن أبي عبد الله قال إني لأركب في الحاجة التي كفاها الله ما أركب فيها إلا التماس أن يراني الله أضحى في طلب الحلال أ ما تسمع قول الله عز اسمه « فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض و ابتغوا من فضل الله » أ رأيت لو أن رجلا دخل بيتا و طين عليه بابه ثم قال رزقي ينزل علي كان يكون هذا أما أنه أحد الثلاثة الذين لا يستجاب لهم قال قلت من هؤلاء الثلاثة قال رجل تكون عنده المرأة فيدعو عليها فلا يستجاب له لأن عصمتها في يده لو شاء أن يخلي سبيلها لخلى سبيلها و الرجل يكون له الحق على الرجل فلا يشهد عليه فيجحده حقه فيدعو عليه فلا يستجاب له لأنه ترك ما أمر به و الرجل يكون عنده الشيء فيجلس في بيته فلا ينتشر و لا يطلب و لا يلتمس حتى يأكله ثم يدعو فلا يستجاب له « و اذكروا الله كثيرا » أي اذكروه على إحسانه و اشكروه على نعمه و على ما وفقكم من طاعته و أداء فرضه و قيل إن المراد بالذكر هنا الفكر كما قال تفكر ساعة خير من عبادة سنة و قيل معناه اذكروا الله في تجارتكم و أسواقكم كما روي عن النبي (صلى الله عليهوآلهوسلم) أنه قال من ذكر الله في السوق مخلصا عند غفلة الناس و شغلهم بما فيه كتب له ألف حسنة و يغفر الله له يوم القيامة مغفرة لم تخطر على قلب بشر « لعلكم تفلحون » أي لتفلحوا و تفوزوا بثواب النعيم علق سبحانه الفلاح بالقيام بما تقدم ذكره من أعمال الجمعة و غيرها و صح الحديث عن أبي ذر قال قال رسول الله (صلى الله عليهوآلهوسلم) من اغتسل يوم الجمعة فأحسن غسله و لبس." (١)

"بركات من السماء و الأرض » و قيل معناه لو استقاموا على طريقة الكفر فكانوا كفارا كلهم لأعطيناهم مالا كثيرا و لوسعنا عليهم تغليظا للمحنة في التكليف و لذلك قال « لنفتنهم فيه » أي لنختبرهم بذلك عن الفراء و هو قول الربيع و الكلبي و الثمالي و أبي مسلم و ابن مجلز و دليله فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم الآية و قيل لنفتنهم معناه لنعاملهم معاملة المختبر في شدة التعبد بتكليف الانصراف عما تدعو

---

(١) تفسير مجمع البيان – الطبرسي ١٠/١٠

شهواتهم إليه و في ذلك المحنة الشديدة و هي الفتنة و المثوبة على قدر المشقة في الصبر عما تدعو إليه الشهوات و روي عن عمر بن الخطاب أنه قال في هذه الآية أينما كان الماء كان المال و أينما كان المال كانت الفتنة و قيل معناه لتختبرهم كيف يكون شكرهم للنعم عن سعيد بن المسيب و قتادة و مقاتل و الحسن و الأولى أن تكون الاستقامة على الطريقة محمولة على الاستقامة في الدين و الإيمان لأنها لا تطلق إلا على ذلك و لأنها في موضع التلطف و الاستدعاء إلى الإيمان و الحث على الطاعة و في تفسير أهل البيت (عليهم السلام) عن أبي بصير قال قلت لأبي جعفر (عليه السلام) قول الله « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا » قال هو و الله ما أنتم عليه و لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا و عن بريد العجلي عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال معناه لأفدناهم علما كثيرا يتعلمونه من الأئمة ثم قال سبحانه على وجه التهديد و الوعيد « و من يعرض عن ذكر ربه » أي و من يعدل عن الفكر فيما يؤديه إلى معرفة الله و توحيده و الإخلاص في عبادته و قيل عن شكر الله و طاعته « يسلكه عذابا صعدا » أي يدخله عذابا شاقا شديدا متصعدا في العظم و إنما قال يسلكه لأنه تقدم ذكر الطريقة و قيل معناه عذابا ذا صعد أي ذا مشقة « و أن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا » تقديره و لأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا سوى الله عن الخليل و المعنى لا تذكروا مع الله في المواضع التي بنيت للعبادة و الصلاة أحدا على وجه الإشراك في عبادته كما تفعل النصارى في بيعهم و المشركون في الكعبة قال الحسن من السنة عند دخول المساجد أن يقال لا إله إلا الله لا أدعو مع الله أحدا و قيل المساجد مواضع السجود من الإنسان و هي الجبهة و الكفان و أصابع الرجلين و عينا الركبتين و هي لله تعالى إذ خلقها و أنعم بها فلا ينبغي أن يسجد بها لأحد سوى الله تعالى عن سعيد بن جبير و الزجاج و الفراء و روي أن المعتصم سأل أبا جعفر محمد بن علي بن موسى الرضا (عليهماالسلام) عن قوله تعالى « و أن المساجد لله » فقال هي الأعضاء السبعة التي يسجد عليها و قيل إن المراد بالمساجد البقاع كلها و ذلك لأن الأرض كلها جعلت للنبي (صلى الله عليهوآلهوسلم) مسجدا عن الحسن و قال سعيد بن جبير قالت الجن للنبي (صلى الله عليهوآلهوسلم) كيف لنا أن نأتي المسجد و نشهد معك الصلاة و نحن ناءون عنك فنزلت الآية و روي عن الحسن أيضا أن المساجد الصلوات و هي لله و المراد أخلصوا لله العبادة." (١)

"للشاكرين المطيعين فقال « إن الأبرار » و هو جمع البر المطيع لله المحسن في أفعاله و قال الحسن هم الذين لا يؤذون الذر و لا يرضون الشر و قيل هم الذين يقضون الحقوق اللازمة و النافلة و قد

---

(١) تفسير مجمع البيان – الطبرسي ١٠/١٣٥

أجمع **أهل البيت** (عليهم السلام) و موافقوهم و كثير من مخالفيهم إن المراد بذلك علي و فاطمة و الحسن و الحسين (عليهماالسلام) و الآية مع ما بعدها متعينة فيهم و أيضا فقد انعقد الإجماع على أنهم كانوا أبرارا و في غيرهم خلاف « يشربون من كأس » إناء فيه شراب « كان مزاجها » أي ما يمازجها « كافورا » و هو اسم عين ماء في الجنة عن عطاء و الكلبي و اختاره الفراء قال و يدل عليه قوله « عينا » و هي كالمفسرة للكافور و قيل يعني الكافور الذي له رائحة طيبة و المعنى يمازجه ريح الكافور و ليس ككافور الدنيا عن مجاهد و مقاتل قال قتادة يمزج بالكافور و يختم بالمسك و قيل معناه طيب بالكافور و المسك و الزنجبيل عن ابن كيسان « عينا يشرب بها عباد الله » أي أولياؤه عن ابن عباس أي هذا الشراب من عين يشرب بها أولياء الله و خصهم بأنهم عباد الله تشريفا و تبجيلا قال الفراء شربها و شرب بها سواء في المعنى كما يقولون تكلمت بكلام حسن و كلاما حسنا قال عنترة :

شربت بماء الدحرضين فأصبحت

عسرا علي طلابها ابنة مخرم و أنشد الفراء :

شربن بماء البحر ثم ترفعت

متى لجج خضر لهن نئيج أي صوت .

« يفجرونها تفجيرا » أي يقودون تلك العين حيث شاءوا من منازلهم و قصورهم عن مجاهد و التفجير تشقيق الأرض بجري الماء قال و أنهار الجنة تجري بغير أخدود فإذا أراد المؤمن أن يجري نهرا خط خطا فينبع الماء من ذلك الموضع و يجري بغير تعب ثم وصف سبحانه هؤلاء الأبرار فقال « يوفون بالنذر » أي كانوا في الدنيا بهذه الصفة و الإيفاء بالنذر هو أن يفعل ما نذر عليه فإذا نذر طاعة تممها و وفى بها عن مجاهد و عكرمة و قيل يتمون ما فرض الله عليهم من الواجبات عن قتادة « و يخافون يوما كان شره مستطيرا »." (١)

"فيم قتلني و من قرأ قتلت بالتشديد فالمراد به تكرار الفعل لأن المراد بالموءودة هنا الجنس فإرادة التكرار جائزة و أما من قرأ المودة بفتح الميم و الواو فالمراد بذلك الرحم و القرابة و أنه يسأل قاطعها عن سبب قطعها و روي عن ابن عباس أنه قال هو من قتل في مودتنا **أهل البيت** (عليهم السلام) و عن أبي جعفر (عليه السلام) قال يعني قرابة رسول الله (صلى الله عليهوآلهوسلم) و من قتل في جهاد و في رواية أخرى قال هو من قتل في مودتنا و ولايتنا .

---

(١) تفسير مجمع البيان – الطبرسي١٠/١٩١

اللغة

التكوير التلفيف على جهة الاستدارة و منه كور العمامة كرت العمامة على رأسي أكورها كورا و كورتها تكويرا و طعنه فكوره إذا ألقاه مجتمعا و نعوذ بالله من الحور بعد الكور أي من النقصان بعد الزيادة و الانكدار انقلاب الشيء حتى يصير أعلاه أسفله بما لو كان ماء لتكدر و أصله الانصباب قال العجاج

أبصر خربان فضاء فانكدر و العشار جمع عشراء و هي الناقة التي قد أتى عليها عشرة أشهر من حملها و الناقة إذا وضعت لتمام ففي سنة و أصل السجر الملأ قال لبيد :

فتوسطا عرض السري فصدعا

مسجورة متجاورا قلامها أي مملوءة و تنور مسجور مملوء بالنار و الموءودة من وأد يئد وأدا و كانت العرب تئد البنات خوف الإملاق قال قتادة جاء قيس بن عاصم التميمي إلى النبي (صلى الله عليهوآلهوسلم) فقال إني وأدت ثماني بنات في الجاهلية فقال فأعتق عن كل واحدة رقبة قال إني صاحب إبل قال فاهد إلى من شئت عن كل واحدة بدنة قال الجبائي إنما سميت موئودة لأنها ثقلت في التراب الذي طرح عليها حتى ماتت و هذا خطأ لأن الموءودة من وأد يئد معتل الفاء و من الثقل آده يؤده أثقله و هو معتل العين و لو كانت مأخوذة منه لقيل مئودة على وزن معوءدة و روي عن النبي (صلى الله عليهوآلهوسلم) أنه سئل عن العزل فقال ذاك الوأد الخفي قال الفرزدق :

و منا الذي منع الوائدات

فأحيا الوئيد فلم توأد و قال :." (١)

"يخلق خلقا يكابد ما يكابد ابن آدم و هو أضعف الخلق و قيل في كبد أي قائما على قدميه منتصبا و كل شيء خلق فإنه يمسي مكبا إلا الإنسان فإنه خلق منتصبا فالكبد الاستواء و الاستقامة و هو رواية مقسم عن ابن عباس و هو قول مجاهد و أبي صالح و عكرمة و قيل يريد شدة الأمر و النهي أي خلقناه ليعبدنا بالعبادات الشاقة مثل الاغتسال من الجنابة في البرد و القيام إلى الصلاة من النوم فينبغي له أن يعلم أن الدنيا دار كبد و مشقة و الجنة دار الراحة و النعمة « أ يحسب أن لن يقدر عليه أحد » معناه أ يظن هذا الإنسان أنه لن يقدر على عقابه أحد إذا عصى الله تعالى و ركب القبائح فبئس الظن ذلك و هذا استفهام إنكار أي لا يظنن ذلك و قيل معناه أ يحسب هذا المغتر بماله أن لا يقدر عليه أحد يأخذ ماله عن الحسن و قيل أ يحسب أن لا يسأل عن هذا المال من أين اكتسبه و في ما ذا أنفقه عن قتادة و قيل

(١) تفسير مجمع البيان – الطبرسي ٢٤٧/١٠

أنه يعني أبا الأسد بن كلدة و هو رجل من جمح كان قويا شديد الخلق بحيث يجلس على أديم عكاظي فتجره العشرة من تحته فينقطع و لا يبرح من مكانه عن الكلبي ثم أخبر سبحانه عن مقالة هذا الإنسان فقال « يقول أهلكت مالا لبدا » أي أنفقت مالا كثيرا في عداوة النبي (صلى الله عليهوآلهوسلم) يفتخر بذلك و قيل هو الحرث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف و ذلك أنه أذنب ذنبا فاستفتى رسول الله (صلى الله عليهوآلهوسلم) فأمره أن يكفر فقال لقد ذهب مالي في الكفارات و النفقات منذ دخلت في دين محمد عن مقاتل « أ يحسب أن لم يره أحد » فيطالبه من أين اكتسبه و في ما ذا أنفقه عن قتادة و سعيد بن جبير و روي عن ابن عباس عن النبي (صلى الله عليهوآلهوسلم) قال لا تزول قدما العبد حتى يسأل عن أربعة عن عمره فيما أفناه و عن ماله من أين جمعه و فيما ذا أنفقه و عن عمله ما ذا عمل به و عن حبنا أهل البيت و قيل أنه كان كاذبا لم ينفق ما قاله فقال الله سبحانه أ يظن أن الله تعالى لم ير ذلك فعل أو لم يفعل أنفق أو لم ينفق عن الكلبي ثم ذكر سبحانه النعم التي أنعم بها عليه ليستدل بها على توحيده فقال « أ لم نجعل له عينين » ليبصر بهما آثار حكمته « و لسانا و شفتين » لينطق بهما فيبين باللسان و يستعين بالشفتين على البيان قال قتادة : نعم الله عليك متظاهرة فقررك بها كيما تشكر و روى عبد الحميد المدائني عن أبي حازم أن رسول الله (صلى الله عليهوآلهوسلم) قال إن الله تعالى يقول يا ابن آدم إن نازعك لسانك فيما حرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقتين فأطبق و إن نازعك بصرك إلى بعض ما حرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقتين فأطبق و إن نازعك فرجك إلى ما حرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقتين فأطبق « و هديناه النجدين » أي سبيل الخير و سبيل الشر عن علي (عليه السلام) و ابن مسعود و ابن عباس و الحسن و مجاهد و قتادة و قيل معناه أرشدناه للثديين عن سعيد بن المسيب و الضحاك و في رواية أخرى عن ابن عباس روي أنه قيل لأمير المؤمنين (عليه السلام) أن ناسا يقولون في قوله « و هديناه." (١)

"تركك يا محمد ربك و ما قطع عنك الوحي توديعا لك و ما قلاك أي ما أبغضك منذ اصطفاك « و للآخرة خير لك من الأولى » يعني أن ثواب الآخرة و النعيم الدائم فيها خير لك من الدنيا الفانية و الكون فيها و قيل إن له (صلى الله عليهوآلهوسلم) في الجنة ألف ألف قصر من اللؤلؤ ترابه من المسك و في كل قصر ما ينبغي له من الأزواج و الخدم و ما يشتهي على أتم الوصف عن ابن عباس و قيل معناه و لآخر عمرك الذي بقي خير لك من أوله لما يكون فيه من الفتوح و النصرة « و لسوف يعطيك ربك فترضى

---

(١) تفسير مجمع البيان - الطبرسي ٣٢٣/١٠

» معناه و سيعطيك ربك في الآخرة من الشفاعة و الحوض و سائر أنواع الكرامة فيك و في أمتك ما ترضى به و روى حرث بن شريح عن محمد بن علي بن الحنفية أنه قال يا أهل العراق تزعمون أن أرجى آية في كتاب الله عز و جل « يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم » الآية و إنا **أهل البيت** (عليهم السلام) نقول أرجى آية في كتاب الله « و لسوف يعطيك ربك فترضى » و هي و الله الشفاعة ليعطينها في أهل لا إله إلا الله حتى يقول رب رضيت و عن الصادق (عليه السلام) قال دخل رسول الله (صلى الله عليهوآلهوسلم) على فاطمة (عليهاالسلام) و عليها كساء من ثلة الإبل و هي تطحن بيدها و ترضع ولدها فدمعت عينا رسول الله (صلى الله عليهوآلهوسلم) لما أبصرها فقال يا بنتاه تعجلي مرارة الدنيا بحلاوة الآخرة فقد أنزل الله علي « و لسوف يعطيك ربك فترضى » و قال زيد بن علي إن من رضا رسول الله (صلى الله عليهوآلهوسلم) أن يدخل أهل بيته الجنة و قال الصادق (عليه السلام) رضا جدي أن لا يبقى في النار موحد ثم عدد سبحانه عليه نعمه في دار الدنيا فقال « أ لم يجدك يتيما ف آوى » قيل في معناه قولان (أحدهما) أنه تقرير لنعمة الله عليه حين مات أبوه و بقي يتيما ف آواه الله بأن سخر له أولا عبد المطلب ثم لما مات عبد المطلب قيض له أبا طالب و سخره للإشفاق عليه و حببه إليه حتى كان أحب إليه من أولاده فكلفه و رباه و اليتيم من لا أب له و كان النبي (صلى الله عليهوآلهوسلم) مات أبوه و هو في بطن أمه و قيل أنه مات بعد ولادته بمدة قليلة و ماتت أمه (صلى الله عليهوآلهوسلم) و هو ابن سنتين و مات جده و هو ابن ثماني سنين فسلمه إلى أبي طالب (عليه السلام) لأنه كان أخا عبد الله لأمه فأحسن تربيته و سئل الصادق (عليه السلام) لم أوتم النبي (صلى الله عليهوآلهوسلم) عن أبويه فقال لئلا يكون لمخلوق عليه حق (و الآخر) أن يكون المعنى أ لم يجدك واحدا لا مثل لك في شرفك و فضلك ف آواك إلى نفسه و اختصك برسالته من قولهم درة يتيمة إذا لم يكن لها مثل قال :

لا و لا درة يتيمة بحر

تتلألأ في جؤنة البياع و قيل ف آواك أي جعلك مأوى للأيتام بعد أن كنت يتيما و كفيلا للأنام بعد أن كنت." (١)

"عنها العبد خرقة يواري بها عورته أو كسرة يسد بها جوعته أو بيت يكنه من الحر و البرد و روي أن بعض الصحابة أضاف النبي (صلى الله عليهوآلهوسلم) مع جماعة من أصحابه فوجدوا عنده تمرا و ماء باردا فأكلوا فلما خرجوا قال هذا من النعيم الذي تسألون عنه و روى العياشي بإسناده في حديث طويل قال

---

(١) تفسير مجمع البيان – الطبرسي ٣٤٠/١٠

سأل أبو حنيفة أبا عبد الله (عليه السلام) عن هذه الآية فقال له ما النعيم عندك يا نعمان قال القوت من الطعام و الماء البارد فقال لئن أوقفك الله يوم القيامة بين يديه حتى يسألك عن كل أكلة أكلتها و شربة شربتها ليطولن وقوفك بين يديه قال فما النعيم جعلت فداك قال نحن **أهل البيت** النعيم الذي أنعم الله بنا على العباد و بنا ائتلفوا بعد أن كانوا مختلفين و بنا ألف الله بين قلوبهم و جعلهم إخوانا بعد أن كانوا أعداء و بنا هداهم الله للإسلام و هي النعمة التي لا تنقطع و الله سائلهم عن حق النعيم الذي أنعم الله به عليهم و هو النبي (صلى الله عليهوآلهوسلم) و عترته .." (١)

---

(١) تفسير مجمع البيان – الطبرسي ٣٨٨/١٠